الفصل الرابع

من غياب يوسف إلى موسى والخروج

من يوسف إلى موسى - الحلقة التوراتية المفقودة

obeikandl.com

obeikandl.com

من غياب يوسف إلى موسى والخروج
من يوسف إلى موسى. الحلقة التوراتية المفقودة.

من يستقرئ التوراة يرى أن وفاة يوسف تعني انتهاء عهد له خصائصه ومميزاته. وحين يموت هذا النبي الذي هو آخر الآباء الأولين أو الأنبياء الموحّدين. تنهي التوراة مرحلة يتشابك فيها الوهم والحقيقة والأسطورة بالواقع وكلما تقترب الأحداث زمنياً من زمن تدوين التوراة يدرك المدقق في الأسفار التوراتية أن كتبة التوراة يقتربون أكثر فأكثر من تزييف الحقائق وطمس كثير من الأمور التي هي في غاية الأهمية لأي باحث أو قارئ للتاريخ.

ولعل ما يلفت النظر أن التوراة حين تنهي سفر التكوين وتبدأ بسفر الخروج تقفز قفزاً زمنياً يقلب الأمور قلباً مدهشاً وتنقلب الأحداث بمجرياتها ومعانيها انقلاباً غريباً. يدرك أي قارئ أن هناك أسباباً كثيرة تقف وراء هذا القفز الزمني المخيف.

ولعل ذلك يدفع للتساؤل ما الزمن المفقود بين يوسف وموسى؟

هل هناك أحداث وقعت لم تشر لها التوراة؟

وهل هناك أنبياء بعثهم الله لأقوامهم أغفلتهم التوراة أو تغافلت عن ذكرهم؟

ما مصير أحفاد يوسف والأسباط أي أخوة يوسف بعد وفاته؟ هل ظلوا في مصر أم هجروها أم انخرطوا بالشعب المصري وانتهوا فيه مثل ما انتهت الحقبة الزمنية تلك؟

ماذا يخبرنا القرآن الكريم؟ كيف مهدت الأمور لظهور موسى على مسرح الأحداث؟

لنقف طويلاً متأملين...

تقول التوراة في الإصحاح الأول من سفر الخروج: ومات يوسف وكل

إخوته وجميع ذلك الجيل. وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض بهم. ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس.

ففي بضعة سطور تتحدث التوراة باختصار شديد عن موت يوسف وإخوته وبروز جيل جديد من بني إسرائيل تكاثروا حتى ضاق بهم المصريون وتولى السلطة ملك جديد ما سمع قط بيوسف وراح المصريون يذلون بني إسرائيل خوفاً من أن يكونوا أقوياء ويتحالفوا مع الأعداء وقد قالت التوراة إن اليهود بنوا لفرعون مدينتين.

ولعلنا نتساءل ما الذي حدث خلال الفترة الزمنية الفاصلة بين يوسف وموسى. ولماذا أدخلتنا التوراة في سفر الخروج هكذا فجأة؟ وكم هي المدة الحقيقية التي فصلت بين الزمنين؟

التوراة تقول إن الفاصل حوالي أربع مائة سنة وثلاثين.

وقد رد كثير من العلماء والباحثين على ذلك فشككوا بهذه المدة واعتبروا كتبة التوراة مزورين للتواريخ، وقد رد على ذلك ابن حزم الأندلسي الظاهري بقوله:

يقول ها هنا إن مسكن بني إسرائيل بمصر أربع مائة سنة وثلاثون سنة وقد ذكر قبل أن فاهات بن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه وبني أعمامه وأن عمر فاهات بن لاوي المذكور كان مئة سنة وثلاثة وثلاثين سنة وأن عمران بن فاهات بن لاوي المذكور كان عمره مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة وأن موسى بن عمران بن فاهات بن لاوي المذكور كان إذ خرج ببني إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة.

هذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة. فهبك أن فاهات دخل مصر ابن شهر أو أقل وأن عمران ابنه ولد بعد موته وأن موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه ليس يجتمع من كل ذلك إلا ثلاثمائة عام وخمسون عاماً فقط فأين الثمانون عاماً الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة.

فإن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته قلنا قد بين في التوراة أنه كان إذ دخلها ابن سبع عشرة سنة وأنه كان إذ دخلها أبوه وأخوته ابن تسع وثلاثين سنة فإذن: كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنين وعشرين سنة ضمها إلى ثلاثمائة سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة أين الثماني والخمسون الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة. والصحيح الذي يخرج على نصوص كتبهم أن مدة بني إسرائيل منذ دخل يعقوب وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي سنة وسبعة عشر عاماً فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عاماً[1].

وإذا خلصنا إلى قول ابن حزم وغيره ممن حققوا في مدة بقاء بني إسرائيل في مصر نستطيع أن نلقي الضوء على بعض الأحداث والشخصيات التي ذكرها المؤرخون والمفسرون والتي طمسها كتاب التوراة أو حاولوا تأجيل الحديث عنها لأسباب نذكرها في السياق العام.

فإذا أمعنا النظر وجدنا أن عدداً من الأنبياء وجدوا في هذه الفترة أي الفترة التي تفصل بين يوسف وموسى. وهؤلاء هم أيوب. وذو الكفل وشعيب وقد ذكروا في القرآن الكريم وتناولتهم الأخبار.

وقد قيل إن زوجة أيوب هي رحمة بنت النبي يوسف وقد ذكر ذلك الثعلبي في كتابه قصص الأنبياء. وقيل أيضاً أن أم أيوب من ولد لوط. وهذه أخبار ليست محل ثقة. إنما المعوّل عليه هنا أن هذا النبي وجد في تلك الفترة الواقعة بين يوسف وموسى.

---

(1) الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص253.

وتنص التوراة أن موسى قد صاهر صاحب مدين المدعو يثرون. ويشير القرآن بوضوح إلى أن شعيباً بعث لأهل مدين. وتتفق الروايات على أن شعيباً كان شيخاً كبيراً عندما التقى بموسى وهو ما يزال في ريعان شبابه.

أما ذو الكفل فيشير الإخباريون أنه ابن أيوب النبي ويدعى بشراً بعث رسولاً إلى أرض الروم.

وهذه الأخبار لا تؤكدها أية مصادر أخرى إنما ما جاء في القرآن الكريم هو خطوط عامة تتحدث عن دعوة هؤلاء الأنبياء للتوحيد والأخلاق الحميدة.

وما يهمنا في هذا السياق هو أن شعيباً النبي بعث لقومه في مدين والتقى به النبي موسى وقلنا إن الأول كان شيخاً عجوزاً والثاني كان شاباً. وهذا يعني أن نبوة شعيب سبقت نبوة موسى، ويعني أيضاً أن الحلقة الزمنية المفقودة بين يوسف وموسى لم تكن خالية من الرجال الأنبياء الذي يمهدون لبعضهم الرسالة ويكملونها.

ولهذا سنتوقف عند شخصيتي أيوب وشعيب باعتبار أنهما ذكرا في التوارة والقرآن لنرى مدى التوافق والاختلاف بين ما جاء فيهما. وأين نجد الباطل وكيف توضح الحق آيات الكتاب المبين.

أما في المنحى العام فإن أيوب ابتلي من الله بنقص بالمال والبنين والمرض وهذا ما تتفق التوراة مع القرآن به.

أما في القرآن الكريم فيقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 83 - 84].

ويقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ

صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 41 ـ 44].

ويفهم من سياق الآيات أن أيوب كان قد ابتلي وأصابه المرض فصبر طويلاً ثم دعا ربه أن يرفع عنه البلاء فاستجاب له وعوض له عما فقده من مال وبنين وصحة، ويدرج ضمن قائمة الأنبياء الذين أتوا من نسل إبراهيم عليه السلام. إذ يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الانعام: 83ـ84].

ويقول في الآية 89: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ﴾.

والآية تشير إلى الأنبياء الذين ورد ذكرهم في الآيات السابقة وأيوب نبي منهم، أما التوراة فإنها تخصص سفراً مستقلاً لأيوب وهو السفر الثامن عشر، حسب الترتيب التوراتي.

وأهم ما يلفت النظر هنا أن السفر جاء بصيغة شعرية فهو أشبه بقصيدة طويلة لما فيه من اللغة الوجدانية والصور البلاغية وسنعود لدراسة هذا السفر فنياً في سطور لاحقة غير أن ما يمكن أن نراه في شخصية أيوب يدلنا عل الاختلاف الجذري بين التوراة والقرآن.

يأتي في سفر أيوب: وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الله وقال: من الجَوَلان في الأرض (1: 6ـ7).

ويطلب الشيطان من الله أن يمتحن أيوب فيستجيب له (يقول له ابسط يدك الآن ومسّ كل ماله فإن في وجهك يجدف عليك (1: 11).

وفي الإصحاح 9 يقول (الله لا يرد غضبه ينحني تحته أعوان رهب).

ثم يقول (لو دعوت ما استجاب لي لما آمنت بأنه سمع صوتي ذاك الذي يسحقني بالعاصفة ويكثر جروحي بلا سبب إذا قتل السوط بغتة يستهزئ بتجربة الأبرياء).

يقول: (أحسنٌ عندك أن تظلم أترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار ويقول: متسائلاً ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر أمامك كأيام الإنسان أم سنوك كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمي وتفتش عن خطيئتي) 3ـ 6.

ويقول: (إلى أرض ظلمة وظل الموت أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى) 10: 20 ـ 22.

ويقول: (هو ذا يهدم ولا يبني يغلق على إنسان ولا يفتح) 12: 14.

ويقول: (أترعب ورقة مندفعة وتطارد قشاً يابساً) 13 ـ 25.

ويقول: (أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو والإنسان يضطجع ولا يقوم) 14: 10 ـ 12.

ويقول: (وكذلك أنت تبيد رجاء الإنسان تتجبر عليه أبداً فيذهب) 14: 19 ـ 20 (هو ذا قدٌ يسُوه ولا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه) 15 ـ 15.

ثم يقول: (فحطمني ونصبني له غرضاً. سفك مرارتي على الأرض ويعدو علي كجبار طرحني كنت مستريحا فزعزعني وأمسك بقفاي فحطمني). 16: 12 ـ 14.

ويقول: (فاعلموا) (21 ـ 15) (إذاً أن الله عوجني ولف علي أحبولته) 19 ـ 6 (من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه. الله يخزن إثمه لبنيه) 21: 9.

ويقول أخيراً (هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به شمالاً حيث عمله فلا أنظره يتعطف وإلى الجنوب فلا أراه) 23: 8 ـ 9.

فإذا ما حاولنا المقارنة بين ما جاء في التوراة وما جاء في القرآن الكريم سنجد أن شخصية أيوب تختلف بين هذا وذاك. فأيوب في القرآن الكريم نبي ابتلاه الله فصبر صبراً ضرب به المثل وجزاء صبره فقد عوضه الله عما فقده من مال وصحة وبنين.

بينما هو كذلك في القرآن الكريم نجده في التوراة رجلاً مجدِّفاً على الله يائساً من رحمته. وسنرى تتابعاً سيرة أيوب في التوراة حسب النصوص التي وردت:

ففي النص الأول نلمس أن كتبة التوراة قد جعلوا لله أبناء إن كان ذلك على الحقيقة أو المجاز وهذا يؤكد أن كلمة أبناء الله تدل على جزء من عقائد الوثنية لدى التوراتيين ولعلنا نتذكر قول التوراة في سفر التكوين بأن أبناء الله رأوا بنات الناس حسناوات فراحوا يتزوجونهن وينجبون رجالاً عظاماً منهن.

والحوار الذي يدور بين الله والشيطان لايدل إلا على حوار مجسد مشخص ويرى القارئ أن هذا الإله المحاور ليس إلا زعيم قبيلة له أبناء يلتفون حوله. وإلا لماذا يدخل الشيطان في وسطهم وكيف يدخل؟ هل هذا الرب غافل عن رؤية دخول الشيطان إلى ملكه وعرشه وهل هناك ثمة علاقة بين الرب والشيطان بعد اللعنة الأبدية التي لعن فيها إبليس؟

ويطلب الشيطان من الرب أن يمتحن أيوب فيستجيب له عندما يقول له (أبسط يدك الآن.. الخ) ويمتحن الرب أيوب فتسرق جماله وخرافه وممتلكاته ويموت أولاده، كل ذلك ليثبت الشيطان للإله أن أيوب لن يصبر على امتحان الرب، وكأن الرب لا يعلم الغيب ولا يدرك ماذا سيحدث مع أيوب.

وبعد الامتحان الأول يطلب الشيطان من الرب أن يزيد في ابتلاء أيوب حتى أنه يهيّج الله على أيوب حتى يكاد يبتلعه. إذاً ما هذا الرب وما طبيعته الغريبة حتى يستطيع شيطان أن يهيجه وأن يرميه في عداء مع عباده وأنبيائه؟

وتقع المصيبة على أيوب فينهار إيمانه بربه من ساعتها بالتجديف على ربه في جميع الإصحاحات الموجودة في السفر.

وإذا لاحظنا ما جاء في الإصحاح الرابع نرى أن التوراة تنسب الحماقة للملائكة على لسان أيوب. ومن المعروف حسب عقائد التوحيد أن الملائكة ينفذون ما يأمرهم الله ولا يخطئون لأنهم خلقوا ليكونوا أمناء على تنفيذ أحكام

الله إنهم يسبحون ربهم ولا يحيدون عن أوامره، فلا حماقة يرتكبونها ولا الرب يخطئ أو تصيبه الحماقة فينسبها إلى ملائكته تخلصاً من خطئه.

وفي الإصحاح السادس يصب الله كل سهامه ضد أيوب وتحيط به أهواله وكأن الله الرحيم يتحول إلى منتقم جبار حاقد.

ويطلب أيوب من الله إن كان رباً حقيقياً أن يسحقه ويقطعه ويخلصه من هذا الداء الوباء. ويطلب منه الموت. وحسب رأي التوراة فإن الموت نهاية الإنسان ولا قيامة ولا نشور. ولذلك تنفي التوراة عن نبي الله أيوب إيمانه بالنشور والحساب والعذاب وتجعله يطلب الفناء والموت نهاية لهذه الآلام.

ويتضايق أيوب من الله إلى أقصى حد حتى أنه يطلب منه أن يكف يده عنه ويبعد تسلطه عنه وفي الإصحاح التاسع إشارة لعدم استجابة الله لعبيده وأنبيائه حسب ما تزعم التوراة على لسان أيوب. فإذا أراد العبد أن يحاجج ربه لا يجيبه هذا الرب ولو على واحد من ألف مما يطلبه العبد. ثم يقول الباسط السموات وحده والماشي على البحار هو ذا يمر علي ولا أراه فلا أشعر به.

ففي هذا النص عبارة صريحة عن وثنية التوراة. فالله يتجسد كالإنسان يتمشى على أعالي البحار، ويمر قرب أيوب فلا يشعر به ولا يراه. لا هذا يشعر بربه ولا الرب يشعر بعبده المتألم. فهذا الرب ساديٌ يتلذذ بمصائب الآخرين ويفرح لعذاباتهم.

وفي الإصحاح التاسع يقول (الله لا يرد غضبه ينحني تحته أعوان رهب).

فالله الغاضب دوماً يجند أتباعه للرعب والرهب والخوف، أعوانه ينحنون خوفاً منه وينفذون رعبهم ورعبه على بني البشر وهنا نرى أيضاً إلغاء صفات الله الرحيم عن الخالق ثم يقول: لو دعوت فاستجاب لي لما آمنت بأنه سمع صوتي ذاك الذي يسحقني بالعاصفة ويكثر جروحي بلا سبب إذا قتل السوط بغتةً، يستهزئ بتجربة الأبرياء.

فصفة الله أنه يكثر آلام البشر بلا سبب ويسحقهم بالعاصفة حباً بالقتل والتعذيب ثم يقول مخاطباً ربه: فهمني لماذا تخاصمني. وهنا يضيق بأيوب الحال ويطلب من ربه أن يوضح له لماذا ابتلاه بهذا المرض. لكن ربه لا يجيبه بل يظل على تعذيبه له.

وفي الإصحاح العاشر: (أحسنٌ عندك أن تظلم أن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار). وهنا تساؤل واضح من أيوب لربه يستنكر فيه عمل ربه حيث يعترف أنه خلق الإنسان ليسعده فلماذا يشقيه ثم لماذا يستمع هذا الرب لمشورة الأشرار والشياطين ويتسلط على عباده؟

وفي الإصحاح العاشر نفسه يقول أيوب متسائلاً (ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر أيامك كأيام الإنسان أم سنوّك كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمي وتفتش عن خطيئتي) فلا يفتش عن الإثم أو الخطيئة إلا البشر أما الله فيتنزه عن ذلك، وهذا ما يؤكد اقتراب عقيدة أيوب التوراتي من عقيدة الإنسان الوثني الذي يرى في ربه مثلما يرى في البشر. وهذا بالطبع ما تزعمه التوراة.

ويظهر عدم إيمان أيوب باليوم الآخر في نفس الإصحاح حيث يقول (إلى أرض ظلمه وظل الموت أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى). وفي فقرات أخرى تظهر حدود الله في عقل أيوب فهو كما ورد في الإصحاح الحادي عشر أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر.

ويسود شعور أيوب إحساس بأن الرب ظالم لئيم لا يرحم وهو يتعقب الضعفاء ولا يقدر على الأقوياء بل يتسلط على الناس بلا شفقة ولا هوادة.

والحوار الذي يدور بين أيوب وبين (بلدد الشوحي) و (أليفاز الثيماني) وغيرهما ممن حاورهم بشأن بلاء الرب ومصائبه يظهر أيضاً أن الرب حسب زعمهم لا يأتمن ملائكته ولا قديسيه ولا رسله. بل هو يشكك في كل من خلقه في السموات والأرض.

يقول (وكذلك أنت تبيد رجاء الإنسان تتجبر عليه أبداً فيذهب هوذا قدّيسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه) إن ذلك يذكرنا بمميزات يهوه الممتاز بالرعونة.

ثم يلقي أيوب التهم الكثيرة على ربه فهو برأي التوراة قد خرب كل بيته وجماعته ودفعه إلى الظالم وفي أيدي الأشرار (فحطّمني ونصبني له غرضاً، سفك مرارتي على الأرض يعدو علي كجبّار طرحني كنت مستديماً فزعزعني وأمسك بقفاي فحطمني).

والتوراة في هذا السفر كما في بقية الأسفار لا تكاد تخرج عن تصور كهنتها وكتابها وتأثّرهم بأساطير الشعوب القديمة وتراثها.

يقول أيوب (فاعلمو أن الله عوجني ولف علي أحبولته من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه الله يُخزن إثمه لبنيه).

وأخيراً يفتش أيوب عن ربه فلا يجده في أي مكان. (هاأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به شمالاً حيث عمله فلا أجده يتعطف، وإلى الجنوب فلا أراه).

هذه شخصية أيوب كما وردت في التوراة فأين هذا مما جاء في القرآن الكريم وأين هذا من صبر الأنبياء وتحملهم وعقيدتهم؟.

لقد اعتبر بعض الأدباء والنقاد الغربيين أن سفر أيوب لوحة شعرية عظيمة بل هو سفر شعري كتب في وقت متأخر من حياة اليهود.

وواقع الأمر يقول حتى لو كان هذا السفر شعراً فهو ذو مضمون لا أخلاقي وقد عرفنا أن للأدب وظيفة أخلاقية بغض النظر عن الشكل الفني. وإذا كان التجديف على الخالق وشتمه أو تجسيده كوثن أو كإله بشري يعني روعة الفن الشعري فلا بأس ساعتها أن نسقط من حسابنا ومن معارفنا وثقافتنا كل ما هو شعري أو كل ما هو رائع فنياً.

ليس بالضرورة أن يكون التجديف على الخالق وإن كان في قالب فني ـ فناً رائعاً. ولو كان أصحاب التوحيد الحقيقيون من اليهود يثقون بما كتب في التوراة لما رفضوا جميع أسفارها باستثناء الأسفار الخمسة الأولى. لكنهم يرفضون تلك الأسفار لأن فيها من التأليف والوهم ومناقضة الواقع والحقائق ما هو مناف للعقل والمنطق وما هو مناف لعقيدة التوحيد الحقيقية. وما ينطبق على سفر أيوبَ ينطبق على غيره من الأسفارِ.

قلنا قبل صفحات سابقة إن النبي شعيب أسبق وجوداً من النبي موسى. وأيوب وذو الكفل وقد يكون غيرهم أيضاً غطوا المسافة الزمنية الفارغة في التوراة وهي التي تقع بين موت يوسف ونبوة موسى.

حين نعود إلى ما تعارف عليه الناس نرى أن شعيباً هو الذي صاهر موسى والتقى به لكن التوراة لا تورد اسم شعيب بل تورد أن صاحب مديان يدعى مرة رعوئيل ومرة يثرون وتشير إلى أن يثرون من نسل عيسو أو من نسل إبراهيم وبالتحديد من زوجته الكنعانية قطورة. وتذكر التوراة أن موسى تزوج ابنته المدعوة صفورة وارتبط به مدة زمنية كبيرة.

جاء في سفر الخروج آخر الإصحاح الثاني (فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر).

ثم تقول: (وكان لكاهن مدين سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم... وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان).

وتقول في الإصحاح الرابع: (فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له أنا أذهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء فقال يثرون لموسى اذهب بسلام. فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر وأخذ موسى عصا الله في يده).

وجاء في الإصحاح الثامن عشر: (فسمع يثرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه. أن الرب أخرج إسرائيل من مصر. فأخذ يثرون حمو موسى صفورة امرأة موسى بعد صرفها وابنيها اللذين اسم أحدهما جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة واسم الآخر أليعازر لأنه قال إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون. وأتى يثرون حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى في البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله. فقال لموسى أنا حموك يثرون آت إليك وامرأتك وابناها معها فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله وسأل كل واحد صاحبه عن سلامته ثم دخلا إلى الخيمة).

فقص موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل ففرح يثرون بجميع الخير الذي صنعه لإسرائيل الرب. وقال يثرون مبارك الرب الذي أنقذكم من يد فرعون. الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة. فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً من حمي موسى أمام الله وحدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء. فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب. ما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقف عندك من الصباح إلى المساء. فقال موسى لحميه إن الشعب يأتي إلي ليسأل الله إذا كان لهم دعوى يأتون إلي فأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه. فقال حمو موسى له ليس جيداً الأمر الذي أنت صانع. إنك تكل أنت وهذا الشعب الذي معك جميعاً لأن الأمر أعظم منك، لا تستطيع أن تصنع وحدك الآن اسمع لصوتي فأنصحك فليكن الله معك كنت أنت للشعب أمام الله وقدم أنت الدعاوى إلى الله علمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه وأنت فانظر من جميع الشعب أناساً أقوياء أتقياء لله مستقيمين. يكرهون الطمع وولّ منهم عليهم رؤساء: فيكون أنهم يقضون للشعب في كل وقت كل أمر عظيم. وكل أمر

صغير. يحكمون فيه هم. وخفف عن نفسك. وهم يحملون معك. فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال.

يقول قاموس الكتاب المقدس: يثرون اسم مديانى معناه فضل. كاهن مديان وحمو موسى ويدعى رعوئيل أي صديق أو خليل الله. ويظهر أن هذا الاسم كان اسمه الشخصي ويثرون لقب شرف أطلق عليه. ورعى موسى أغنام حميه سنين طوالاً ثم دعاه الله فرجع إلى مصر، ويرجح أن يثرون كان من نسل إبراهيم وقطورة.

ويقول عن مديان: اسم سامي معناه محكمة وهو أحد أولاد إبراهيم من قطورة وقال بعضهم إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر. وكان الاسماعيلون من سكان مديان. وسكن موسى مدة في مديان[1].

أما في القرآن الكريم ففي آياته قصتان مختلفتان. القصة الأولى وتتعلق بمديان والشيخ الكبير دون التصريح باسمه.

هي في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 850.

أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 22ـ28] .

وجاء في سورة [طه: 40 ــ 41]: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ .

فلم يصرح القرآن الكريم باسم صاحب مدين أو اسم الشيخ الكبير بينما عندما تحدث القرآن عن شعيب بصريح الاسم فقد ورد من خلال قصة نبوته وصراعه مع قومه .

وقد ورد في سورة الأعراف 85 ـ 93 وفي سورة هود من 84 ـ 93 . وفي الشعراء 176 ـ 183 . وفي سورة العنكبوت 36 ـ 37 . وعن أصحاب الأيكة في سورة الحجر 78 ـ 79 .

يقول تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: 85ـ 93].

في سورة هود، تقترب معاني الآيات من معاني الآيات في سورة الأعراف إلا أننا نرى هنا توضيحاً للأسباب والنتائج.

يقول تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: 87].

ويقول تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: 89].

ولو عدنا إلى ما نص عليه القرآن الكريم وما نصت عليه التوراة بالنسبة للنبي موسى ومصاهرته للشيخ الذي لم يذكر اسمه لوجدنا توافقاً في القصتين دون اختلاف كبير فلم تتناول التوراة ولا القرآن في ذلك السياق الحديث عن قوم الرجل وما هي عقيدتهم. فكانت القصة مقتصرة على تعرف موسى عليه واستئجاره له وزواج موسى من ابنته. وتبين الآيات الكريمة أن الرجل فعلاً رجل صالح لا سيما حين قص عليه موسى ما جرى معه فقال له نجوت من القوم الظالمين.

وواقع الأمر أن هناك فروقاً واضحة بين شخصية النبي شعيب ومهمته وبين شخصية الشيخ العجوز ومهمته ومن ثم علاقته بموسى.

وقد أورد بعض المفسرين والعلماء أن الذي صاهر موسى هو شعيب وقد أوردوا بعض الأحاديث المضطربة حول ذلك فلم يؤخذ بها بشكل كلي. ومن هؤلاء أبو جعفر الطبري الذي أورد ثلاث روايات تنتهي كلها لابن عباس وفي روايتين منها أن الذي صاهر موسى هو يثرى صاحب مدين وفي الثالثة أن اسم أبي

المرأة التي تزوجها موسى هو يثرى[1].

أما ابن كثير فقد أورد أن صهر موسى هو شعيب. وقال آخرون كان شعيب قبل موسى بمدة طويلة لأنه قال لقومه ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن إبراهيم عليه السلام وبين إبراهيم وموسى مدة تصل إلى حوالي ستمائة سنة على الأقل وأربعمائة في بعض الروايات.

على أية حال لم تذكر التوراة أن اسم الذي صاهر موسى هو شعيب بل أوردت اسم يثرون وكذلك القرآن الكريم لم يذكر اسم من صاهر موسى.

والذي جعل المفسرين يميلون إلى القول بأن من صاهر موسى هو شعيب كون التوراة قالت أن صهر موسى هو كاهن مديان وهو رجل صالح.

وقد ربطوا بين اسم مدين وبين شعيب حيث أورد هذه العلاقة القرآن الكريم وهذا يعني أن المنطقة واحدة في القرآن الكريم وفي التوراة.

غير أن الذي يستوقف ويستوجب النظر هو عدم ذكر قوم الشيخ البتة لا في التوراة ولا في القرآن الكريم عند الحديث عن اللقاء بين موسى وبينه ومن ثم استئجاره لموسى وتزويجه من ابنته.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم تشر التوراة إلى علاقة ما بين شعيب وبين قومه من أهل مدين؟

ثم لماذا تحدث القرآن الكريم عن قوم شعيب وجداله لهم في مواقع عدة من القرآن غير الموقع الذي تحدث عن مصاهرة الشيخ العجوز لموسى؟

إذا دققنا النظر في الآيات الكريمة التي تحدثت عن شعيب وقومه وجدنا مايلي:

---

(1) تاريخ الطبري المجلد 1 ص 400.

1 ـ قوم شعيب مشركون لا يعبدون الله بدليل قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: 73].

2 ـ قوم شعيب أصحاب أخلاق وعادات سيئة ينقصون الكيل والميزان ويبخسون الناس أشياءهم.

3 ـ يفسدون في الأرض.

4 ـ يقعدون في الطرقات يصدون الناس عن سبيل الله.

5 ـ أنعم الله عليهم بأن كثر نسلهم وعددهم بعد أن كانوا قلة.

6 ـ آمن بعض قوم شعيب بما أرسل لهم.

7 ـ قوم شعيب يهددونه بإخراجه من ديارهم أو يعود إلى دينهم وهذا دليل ضعفه وقلّة أنصاره.

8 ـ كانت عاقبتهم أن أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

9 ـ تولى شعيب عن قومه بعد أن عاقبهم الله.

هذا ما يمكن أن نلخصه لما ورد في الآيات الكريمة من سورة الأعراف.

وفي سورة هود نستطيع أن نضيف بعض ما فهمناه إضافة لما ورد في سورة الأعراف.

1 ـ قوم شعيب يعبدون ما وجدوا آباءهم عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ . . .﴾ [هود: 87].

2 ـ قوم شعيب على علم بما حل بالأقوام السابقة بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود: 89].

ونضيف أمراً أخيراً أوضحته الآيات في سورة الشعراء.

1 ـ أصحاب الأيكة كذبوا المرسلين وكانت مهمة شعيب هدايتهم إلى دين

الوحدانية وإلى الأخلاق الحميدة.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس: 75].

وكانت الآيات قد أوردت ذكر نوح ثم هود فصالح فلوط فشعيب قبل ذكرها لموسى وهارون.

إن هذه الملاحظات ترشدنا إلى بعض مفاتيح الأمور لنستطيع الوصول إلى بعض الحقائق حول شخصية شعيب وإن كان له علاقة بزمن موسى أم لا ولنستطيع أيضاً أن نرى ما يتوافق به التوراة والقرآن وما يختلفان.

تورد التوراة أن موسى بعد أن تزوج ابنة الرجل العجوز عاد إلى مصر وقد كانت الرسالة قد نزلت عليه وكلّمه الله سبحانه وبلغه رسالة السماء وطلب منه أن يذهب إلى فرعون ويحاججه ثم ينقذ أبناء قومه من عذاب فرعون. ثم إن موسى بعد أن استطاع إنقاذ قومه من فرعون توجه باتجاه سيناء وبطريقة ما علم الشيخ العجوز (يثرون) بمقدم موسى فاستقبله وعلمه بعض أساليب الدعوة التي يجب على موسى اتباعها ليرشد قومه.

أما في القرآن الكريم فإن قصة عودة موسى ولقائه بصهره أو بوالد زوجته لم ترد ولم يأت عليها القرآن الكريم وعلى ذلك فإن ملاحظات عدة يجب ذكرها في هذا السياق:

1 ـ تعترف التوراة بأن يثرون هو كاهن مديان ولم تقل أنه نبي أو رسول وكلمة كاهن تعني أنه رجل صالح يعترف بالرب والتوحيد لكنه لم يصل درجة النبوة كما وصل لها موسى.

2 ـ تقول التوراة إن هذا الرجل علّم موسى بعض أساليب الدعوة والقضاء وقد استجاب موسى لإرشاداته.

3 ـ لم تذكر التوراة شيئاً عن قوم مدين، من كان يسكنها؟ ما هي عقيدة أهلها؟ ولا حتى الصلة بين كاهنها يثرون وبين قومه. ولو كان هناك قوم أو جماعة مع يثرون لشاركوه على الأقل في استقبال موسى وقومه عندما رجع من مصر.

بينما نرى في القرآن الكريم أن لشعيب قوماً مشركين فاسدين وتصدى لهم فلم يلينوا فأبادهم الله وهذا ما يؤيد القول بأن الذي صاهر موسى ليس شعيباً وإنما هو رجل آخر صالح مستقيم ويمكن القول بأن هناك توافقاً بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في التوراة بالنسبة لزواج موسى من ابنة الرجل العجوز الذي هو على الأرجح يثرون كاهن مديان. ويقع الاختلاف بين التوراة والقرآن كما قلنا في عودة موسى لوالد زوجته واستقباله له حيث لم يرد ذلك في القرآن الكريم بينما ورد في التوراة.

إذاً طالما أن الأمر فيه شيء من الترجيح فلماذا لم تذكر التوراة شعيباً بالاسم؟ لماذا لم تأت على ذكر قومه؟ وزمنه؟ بينما ذكر القرآن شعيباً وقومه في أكثر من موقع وبشكل مفصّل، قد يقول قائل إن كثيراً من الأسماء في التوراة جاءت بلغة العبرانيين فليس شرطاً أن تورد التوراة اسم شعيب الذي هو مشتق من أصل لغوي عربي والكلمة تصغير لشعب. وليس لها شأن في اللغة العبرانية.

والحقيقة أن التوراة أوردت معظم الأسماء كآدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان باسمها المتعارف عليه في اللغات العبرانية والعربية والسريانية وغيرها. لكنها لم تورد شعيب باسمه لأنها لا تعترف به ولا بنبوته. وقد اعتبرت يثرون وهو الذي صاهر موسى كاهن مديان والكهانة لا تصل بأي شكل إلى مرتبة النبوة.

ونحن نلاحظ أن التوراة ركزت على نسل إسحق ولم تركز على غيره من الأنبياء والكهنة والمصلحين. وقد جاء في بعض نصوص سفر التكوين أن إبراهيم قد تزوج امرأة ثالثة وهي قطورة ومنها أنجب عدداً من الأولاد منهم مديان الذي

سميت منطقة مديان باسمه وكان يثرون أحد أبناء مديان أو أحد أحفاده.

ويجدر بنا أن نذكر أن التوراة لم تأت على ذكر هود وصالح وفعلت ذلك أيضاً مع النبي شعيب وهناك بعض الروايات ترى أن هؤلاء الأنبياء من العرب ولا تريد التوراة ولا كتبتها أن يدخلوا هؤلاء الأنبياء ضمن الحديث عن أنبياء بني إسحق لأنها أساساً لا تعترف بهم ونذكر جميعاً كيف تحدثت التوراة عن هاجر وإسماعيل فكيف بها تتحدث عن شعيب وأمه ليست سارة أو من نسل سارة.

إذاً هناك أسباب كثيرة تدعو للقول بأن الرجل الذي صاهر موسى ليس شعيباً وإنما رجل آخر.

احتمالات وافتراضات:

إشارة من القرآن الكريم إلى أن صهر موسى شيخ عجوز. يفتح باب الظن أن شعيباً بعد أن أباد الله قومه بقي ومن آمن معه وهم قليل. فقد تكون إبادة قومه في زمن شبابه أو ما قبل عجزه وشيخوخته. وربما أن موسى التقى به بعد سنوات طويلة من إبادة قومه. وهذا احتمال قد يفترضه الذين قالوا إن صهر موسى هو شعيب.

وإشارة لقول التوراة إن الشيخ العجوز هو كاهن مديان وهو من علّم موسى ونصحه في كيفية القضاء بين قومه وإشارة لقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يفتح باب الظن أن كاهن مديان والشيخ العجوز الذي قال لموسى نجوت من القوم الظالمين هو رجل صالح قد يكون نبياً أو مصلحاً فإن كان نبياً فإن نصيحته لموسى وإرشاداته له ومن ثم تقبل موسى لها يدل على أن النبي موسى وهو من أولي العزم قد تعلم شيئاً في نشر دعوته من نبي قد جرب معنى الظلم والظالمين وعانى من قوم ظالمين، ربما كان يعيش بين ظهرانيهم. وإذا افترضنا أن الشيخ العجوز هو شعيب فلا عجب إذاً أن يستفيد موسى من تجربته مع قومه الذين أبادهم الله. وهذا ما ترفضه طبيعة العقيدة التوراتية حيث أن اليهود

يعتبرون موسى نبياً لا شبيه له ولم يكن مثله في بني إسرائيل. ويرفضون أن يتعلم موسى من رجل كاهن، كيف يدير شؤون القضاء في قومه، لكن التوراة تشير إلى أن هذا الرجل هو كاهن وليس نبياً. وقد يراد من كلام التوراة إظهار أن موسى كان يحترم والد زوجته حتى بلغ الاحترام حد قبول النصيحة منه ولا سيما في الشؤون الدينية. . وهذا ما لم يرد في القرآن الكريم إنما قد يوصي الرجل الصالح موسى ببعض الوصايا وهذا ليس فيه شيء غريب.

ونستطيع أن نستشف من آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه اختار لموسى زوجة هي بنت رجل صالح موحّد. وليست بنت رجل وثني مخالف لعقيدة التوحيد التي كان عليها موسى ومن تبع موسى.

وهذه بالطبع حكمة إلهية أراد الله منها أن تكتمل دائرة الإيمان عند موسى لا سيما أن الرجل الصالح لابد أن يكون له تأثير في تربية موسى وإرشاده. أو مساعدته في تثبيت دعوته لعقيدة التوحيد، والأنبياء بشر لابد من أن تمر في حياتهم لحظات يحتاجون فيها للتثبيت.

وقد ذكر ابن كثير سبب ذكره شعيباً وقومه بعد لوط وقومه فقال مؤكداً زمن هذا النبي بقوله (وذكرنا ما وقع في زمانه من قصة قوم لوط وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام لأنها قرينتها في كتاب الله عز وجل في مواضع متعددة. فذكر الله تعالى بعد قصة لوط قصة مدين وهم أصحاب الأيكة على الصحيح كما قدمنا. فذكرناها تبعاً لها اقتداء بالقرآن العظيم)[1].

ويفهم من كلام ابن كثير أنه يؤيد ويميل إلى القول بأن زمن شعيب أقرب إلى زمن لوط وإبراهيم من زمن موسى عليهم السلام.

---

(1) ابن كثير: قصص الأنبياء صفحة 196. دار الخير الطبعة الأولى 1992 بيروت.

الخروج التوراتي وحقائق القرآن:

لعل أكثر ما تحفل به التوراة هو خروج بني إسرائيل من مصر باعتباره نتيجة لأسباب الاضطهاد الفرعوني وهذا الخروج يحوي الحديث عن شخصيات مهمة وأحداث حاسمة شهدتها المنطقة الممتدة من مصر إلى حدود فلسطين. وبسبب الامتداد الزمني الذي استغرقه هذا الخروج فقد ركزت دراسات كثيرة على دراسة التاريخ والجغرافية والشخصيات متوخية من ذلك التوصل إلى مجريات الأحداث الحقيقية التي شهدتها المنطقة.

وقد أفردت التوراة سفراً كاملاً سمي باسم الخروج ويضم أربعين إصحاحاً وجاء في التوراة خلال 70 صفحة. واعتبره الدارسون من أهم الاسفار.

وقد أورد القرآن الكريم قصة الخروج في أماكن متفرقة من السور، ويرى الباحث أن تشابهاً يقع بين التوراة والقرآن في كثير من المسائل والأحداث والشخصيات، واختلافاً قد يصل حد التناقض الكلي.

1 ـ يتفق التوراة والقرآن على حدوث الخروج وأسبابه.

2 ـ يتفق التوراة والقرآن على قيادة موسى عليه السلام لهذا الخروج.

3 ـ يتفق التوراة والقرآن على مكان الهروب وهو صحراء سيناء.

4 ـ يتفق التوراة والقرآن على أحداث كثيرة صغيرة وكبيرة نوردها في السياق.

أما الاختلافات فسنجدها أيضاً من خلال المقارنة الدقيقة وذلك بهدف كشف الحقائق المادية أو الاجتماعية أو العقيدية المرتبطة ببني إسرائيل.

يبدأ سفر الخروج بالحديث عن موسى بعد تمهيد قصير يتحدث عن أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر عندما كان يوسف هناك وتقول التوراة إن عدد أبناء يعقوب كان سبعين نفساً وترى أن جميع ذلك الجيل قد مات (وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم).

وتنتقل التوراة للحديث عن مجيء فرعون جديد لم يكن يعرف يوسف فاضطهد بني إسرائيل واستعبدهم وتتعرض للحديث عن قتله لأطفالهم منذ المقطع 15 ـ وحتى المقطع 22.

أما الإصحاح الثاني فيبدأ بالحديث عن زواج رجل لاوي من بنت لاوي ثم ولدت هذه الزوجة وأنجبت موسى. (ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر. ولما لم يمكنها أن تخبئه بعدُ أخذت له سفطاً من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يُفعل به) المقطع 3 ـ 4.

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ۝ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 7 ـ 9].

فالقصة كما وردت كحدث مجرد تتلخص بأن أم موسى ألقت طفلها في اليم (النهر الكبير ـ أو البحر) وهي تضعه في صندوق خشبي. أما القصة من حيث ظلالها وصلة الحدث بالأمر الرباني فهناك اختلاف جذري في الأسباب والنتائج.

وهنا تكمن دقة القرآن في وصف الحادثة وظلالها. فموسى عليه السلام مختار من الله سبحانه بأمر إلهي مسبق. وحتى تكون المعجزة أوحى الله لأم موسى. والوحي هنا إرشاد لمعرفة الفعل الذي تقوم به لإنقاذ طفلها. لقد أوحى الله لها أن ترضعه ولا تخشى فرعون وجنوده ثم بعد إرضاعه أوحي لها أن تلقي به في اليم. خوفاً عليه. فكيف يطلب الوحي من إنسان كي ينقذ طفله أن يلقيه في خضم نهر كبير أو بحر؟ وعلى مقياسنا البشري فإن الظاهر يقول لنا إن من يريد أن ينقذ طفله من الموت عليه أن يخفيه أو يبعده عن الخطر. لكن الوحي قال لها ألقيه

في هذا الخطر ولا تخافي ولا تحزني. وقد استجابت لنداء الوحي لأنها مؤمنة بالله أشد الإيمان ولو كانت امرأة عادية لما قامت بما أمرها الله سبحانه.

وألقي موسى في اليم لغاية أرادها الله ووضحها في كتابه الكريم. فقال تعالى لأمه إنا رادوه إليك ثم إنا جاعلوه من المرسلين. فاطمأنت الأم بأن الله سبحانه سيعيده إليها ثم سيكون يوماً من خيرة الناس حيث سيكون مختاراً من الله نبياً ورسولاً.

ويلتقطه آل فرعون وهم لا يشعرون أنه سيكون عدواً لهم وسيكون أحد أسباب انهزامهم واندحارهم وغرق فرعون وجنوده.

دورة غريبة على العقل البشري. فرعون يقتل أطفال بني إسرائيل. وموسى طفل منهم وينجيه الله بأسلوب يدهش العقل حيث يُلقى في أحضان العدو القاتل لكن الله يريد غير ما يريده البشر وإرادته هي النافذة.

هذا هو الفارق الجوهري بين ما ذكرته التوراة وما ذكره القرآن الكريم وهو فارق له قيمته الكبرى في دراسات الأديان المقارنة الخاصة باليهودية والإسلام.

ويقع الخلاف بين ما ذكرته التوراة وما ذكره القرآن الكريم حول المرأة التي التقطته فالتوراة ترى أن ابنة فرعون هي التي التقطته تقول التوراة في الإصحاح الثاني من سفر الخروج (فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته.. ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء).

أما القرآن الكريم فيحدد أن التي انتشلته من الماء هي امرأة فرعون يقول تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾. والواضح أن امرأة فرعون فرحت بالطفل فرحاً شديداً فاعتبرته قرة عين لها لأنها كانت عاقراً. ولو كان لديها أولاد لما قالت قرة عين لي.

والأقرب إلى المنطق العقلي أن التي التقطت موسى هي امرأة فرعون

وليست ابنته لأن المرأة المتزوجة والعاقر هي التي تجد في هذا الطفل منىً لقلبها. وليست للبنت مصلحة في هذا الطفل لأنها لا تدري معنى للأمومة وهي ما زالت بنتاً لم تكن تدرك بشعورها وبإحساسها معنى لاحتضان هذا الطفل.

يقول ابن كثير (وعند أهل الكتاب أن التي التقطت موسى (دربته) ابنة فرعون وليس لامرأته ذكر بالكلية وهذا من غلطهم على كتاب الله عز وجل)[1].

ثم تتحدث التوراة عن موسى وقد صار شاباً (وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم فرأى رجلاً مصريا يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل) الإصحاح الثاني من سفر الخروج 11 ـ 12 ـ 13.

وأورد القرآن الكريم قصة قتل موسى للرجل على النحو التالي:

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 14 ـ 17].

ففي الإطار العام نرى قصة واحدة أو حادثة بعينها توردها التوراة ويوردها القرآن. ثم يتفقان على أن موسى هرب على إثر الحادثة من مصر واتجه نحو مدين وأقام بها مدة.

على أن ذلك لا ينفي الاختلاف في الأسباب. ففي التوراة قتل موسى تعصباً لبني جنسه دون أن يُطلب منه. ثم تقول إنه دفن المصري في الرمل.

---

(1) ابن كثير قصص الأنبياء صفحة 270.

بينما يقول القرآن الكريم إنه قتله في المدينة وكان الناس في غفلة ثم إنه لم يقدم على وكز الرجل إلا بعد أن استغاث به الرجل الآخر. والاستغاثة تظهر أن المستغيث ضعيف لا يقدر أن يصمد أمام خصمه. ثم إن القرآن الكريم يقول باللفظ وكزه والوكز لا يقتل. مهما كان قوياً وهذا أيضاً دليل على أن موسى لم يرد القتل بقدر ما كان يريد الردع لأنه لا يعرف ولا يدرك أن وكزته ستؤدي إلى قتل الرجل.

أما فيما يتعلق بهروب موسى إلى أرض مدين فقد تحدثنا عنه عند حديثنا عن النبي شعيب عليه السلام أو الرجل الصالح الذي صاهر موسى.

ونتابع رحلة نبي الله موسى. فعندما ذهب ومعه زوجته يلتمس الطريق ويلتمس النار حتى يقي نفسه وزوجه البرد. ظهر له ملاك الرب. وبُلِّغ أنه في مكان مقدس وعليه أن يخلع نعليه.

وهذا ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم ولا كثير اختلاف بينهما.

يرد في التوراة في الإصحاح الثالث (فقال لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة) 4 ـ 5 (ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله) 6 ـ 7.

ويأتي في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: 11 ـ 12].

والذي يلفت النظر ههنا قول التوراة فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. والجملة تفيد أن الله كان حاضراً بشكل تجسيمي أو مجسم وخاف موسى أن ينظر إليه. والصحيح أن موسى نودي من قبل الله سبحانه. ولكن لا حدود لهذا النداء الرباني إنما هناك علامة لنور الله الذي ليس له حدود. وهو ما أشارت إليه الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30]. ويُلفت

النظر في الآية العلاقة بين الفعل نودي. وبين أن يا موسى إني... فإن مفسرة، أن يا موسى مفسر للفعل نودي.

وقد ذكر المهدوي: كلم الله تعالى موسى من فوق عرشه وأسمعه كلامه من الشجرة على ما شاء ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين.

وقال أبو المعالي: وأهل المعاني وأهل الحق يقولون: من كلّمه الله تعالى وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى فيدرك كلامه القديم المقدس عن مشابهة الحروف والأصوات والعبارات والنغمات وضروب اللغات كما أن من خصه الله بمنازل الكرامات وأكمل عليه نعمته ورزقه رؤيته يرى الله منزهاً عن مماثلة الأجسام وأحكام الحوادث ولا مثل له سبحانه في ذاته وصفاته[1] وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي عباس رضي الله عنهم في قوله نودي من شاطئ الواد الأيمن قال: كان النداء من السماء الدنيا[2].

وقد كان خوف موسى ليس بسبب عدم قدرته على تحمل رؤية الله سبحانه كما ذكرت التوراة إنما بسبب الدهشة التي أصابته حين رأى النار في الشجرة والشجرة خضراء لا تحترق.

قيل إن موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة إلا الله تعالى فعلم بذلك أن المتكلم هو الله تعالى وأن ذلك الكلام كلام الله تعالى[3].

وتتفق التوراة والقرآن فيما كان عليه حال موسى من استثقال لسانه ومعونة

---

(1) القرطبي، نقلاً عن كتاب تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. محمد علي طه الدره مجلد 10 ص 488.

(2) السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور المجلد 5، صفحة 242.

(3) محمد الدرة، تفسير القرآن الكريم إعرابه وبيانه ص 488. مجلد 10.

أخيه هارون حين أمره الله سبحانه أن يذهب إلى فرعون ويدعُوَا للتوحيد ورفع الظلم عن بني إسرائيل.

لكن الذي يستوقف هنا قول التوراة (وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً) الإصحاح الرابع 17.

وقولها: (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا اقتل ابنك البكر) الإصحاح 4 ـ 22 ـ 23.

ففي الجملة الأولى هناك تصريح لا تأويل له. تكون له إلهاً. فما المقصود بذلك سوى ما يفهمه أي قارئ لهذه الجملة.

أما في الجمل التالية فإن التوراة تصرح أن أبناء إسرائيل هم أبناء الله. وفي الحالتين فإن تصريح التوراة بهذه الألفاظ ليس سوى شاهد واضح على الإشراك بالله.

مهمة النبي موسى:

يوضح الإصحاح الخامس وما بعده من سفر الخروج المهمة الأساسية التي كلف بها موسى من قبل الله (هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيِّدوا لي في البرية فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه فقالا: إله العبرانيين قد التقانا) 1 ـ 2 ـ 3.

وفي الإصحاح السادس يرد: (ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء وأما باسمي يهوه فلم أُعرَف عندهم وأيضاً أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها) 2 ـ 5.

وفي الإصحاح نفسه أي السادس يعود الحديث عن أمر الرب لموسى بأن يذهب إلى فرعون ليطلق سراح بني إسرائيل. ويعترف موسى للرب أن بني إسرائيل لم يسمعوا كلامه وكاد أن يملهم لما لاقاه من العناد عندهم.

فالمهمة التي أوكل إليها موسى هي إنقاذ بني إسرائيل مما حاق بهم من العذاب على يد فرعون وجنوده ومن ثم تنفيذ وعد الرب بمنحهم أرض كنعان ميراثاً لهم ولأبنائهم وأحفادهم من بعدهم.

أما في القرآن الكريم فتتشعب المهمة وتتنوع أهدافها وغاياتها.

فموسى عليه السلام مختار من قبل الله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 13].

وأول ما طلبه الله سبحانه منه أن يوحِّده ويعبده ويقيم الصلاة لذكره: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: 14].

وربط إيمان موسى بالله بالإيمان باليوم الآخر: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 15].

وبعد ذلك كله يطلب الله سبحانه من موسى أن يذهب إلى أكبر طاغية في ذلك العصر وهو فرعون مصر:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: 35 ـ 36].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 15 ـ 19].

فالمهمة التي كلف بها موسى متشعبة الأوجه وباعتباره مصطفى من قبل الله سبحانه لتبليغ الرسالة فقد كانت هذه المهمة تهدف إلى هداية القوم المشركين وعلى رأسهم فرعون. وتهدف فيما تهدف إلى رفع الظلم الذي أحيط ببني إسرائيل ومن

ثم إخراجهم من أرض مصر.

أما التوراة فتركز على إخراج بني إسرائيل من مصر دون سواه. وتظهر أن الرب الذي بعث موسى هو رب بني إسرائيل وحدهم. ثم تقحم وعد هذا الرب لهم بمنحهم أرض كنعان ميراثاً لهم ولأبنائهم. والآيات القرآنية الكريمة تذكر طغيان فرعون بشكل مكرر. وهذا الطغيان ليس اضطهاد بني إسرائيل إنما هو الادعاء بالربوبية وعدم الاعتراف بالله الخالق.

وهذا ما سنراه من خلال الحوار الذي يدور بين النبي موسى عليه السلام وبين فرعون فهو حوار قائم على المناقشة في ماهية الرب الذي نادى موسى لعبادته والذي ينكره فرعون.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 48 ـ 55].

ويقول تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 23 ـ 28].

ولعلنا نرى أن دعوة فرعون للتوحيد هي الهدف الأول الذي أرسل موسى لأجله. أما دعوة موسى فرعون لرفع الظلم عن بني إسرائيل فهو هدف لاحق. أو أنه يأتي في المقام الثاني من مهمة هذا النبي وأعتقد أن فرعون لو لبى نداء موسى

وآمن بما دعا له لما كانت هناك مشكلة بالنسبة لبني إسرائيل فالمؤمن لا يظلم وفرعون لو آمن لانتهت مشكلة بني إسرائيل دون أية معوقات.

وقد اعتبر عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء أن محور رسالة موسى والغرض الأول المقصود بها هو إطلاق بني إسرائيل[1].

وحقيقة الأمر أن مهمة أي نبي من أنبياء الله تبتدئ بالدعوة إلى التوحيد وعدم الإشراك بالله. وتأتي الأمور الأخرى مسببات أو ملحقات تدعم الموقف الذي يقفه الأنبياء، ولو نظرنا إلى حياة النبي موسى وكفاحه بين بني إسرائيل لأدركنا أن مهمته ليست إخراجهم من ظلم فرعون بل إدخالهم في العقيدة التوحيدية وإبعادهم عن الوثنية والشرك.

ويذكر القرآن الكريم أن فرعون ظل على جبروته وعناده، وحتى يبرر موقفه أمام حاشيته طلب من هامان وزيره أن يبني له صرحاً ليصعد إليه ويتحدى إله موسى وعلى الرغم من ذلك فهو يعلم أنه لن يبلغ السماء مهما بنى من بنيان لكنه أراد أن يخرج من مأزقه حينما بين له موسى عليه السلام سمات الله خالق السماوات والأرض ومنبت الزرع... إلخ.. وقصة بناء الصرح أو الأمر الذي أصدره فرعون ببناء الصرح لم يرد في التوراة على الإطلاق.

وتذكر التوراة قصة تحدي موسى عليه السلام للسحرة الذين استقدمهم فرعون من جميع أطراف بلاده فتقول: (وكلم الرب موسى وهارون قائلاً إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة تقول لهارون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا فدخل موسى وهارون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب. طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعباناً. فدعا أيضاً الحكماء والسحرة ففعل عرّافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك. طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم فاشتد قلب فرعون فلم

---

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء الصفحة 227.

يسمع لهما كما تكلم الرب) خروج إصحاح7.

وتنتهي قصة هذا التحدي بهذا الشكل الذي لا تتوضح فيه نتائجه ومجريات أحداثه.

لقد ذكر القرآن الكريم قصة التحدي في أكثر من موضع وهذا ما يجعلها حدثاً فاصلاً في مسيرة كفاح النبي موسى عليه السلام.

ذُكرت قصة التحدي في سورة الأعراف من الآية 106 ـ 126 وذكرت في سورة يونس من الآية 75 ـ 89 وفي سورة طه من الآية 57 ـ 76 وفي سورة الشعراء من الآية 29 ـ 51.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: 72ـ86].

ويقول تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: 57 ـ 73].

فقصة هذا التحدي قصة متكاملة ويترتب عليها ونتائجها أمور تتعلق بالسحر وأمور تتعلق بالسحرة.

ففي التوراة ينسب سفر الخروج العصا لهارون أخي موسى (ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم). والعصا في القرآن الكريم تنسب لموسى لأنه صاحب الشأن الأول في جدال فرعون. أما بالنسبة للسحر فكان في عصر فرعون علماً له شأنه والذي يفرق ما بين سحر السحرة وعصا موسى قدرة الله سبحانه على المعجزة. لقد ألقى السحرة حبالهم وعصيهم فانقلبت خادعة أعين الناس إلى ثعابين وعندما ألقى موسى عصاه تحولت إلى ثعبان حقيقةً وليس سحراً والذي يؤكد ذلك أن السحرة يعرفون صنعتهم بالسحر ويميزون بينه وبين الحقيقة. فلما ابتلع ثعبان موسى ثعابينهم المزيفة أدرك السحرة أن هذا معجزة ربانية وليست

سحراً فآمنوا بل خروا ساجدين معترفين بعجزهم أمام الحقيقة الربانية.

ولم تميز التوراة بين فعل موسى وفعل السحرة ولم تنسب الفعل الذي حدث إلى معجزة إلهية إنما جاء الخبر خالياً من كل بعد إلهي سوى الأمر الذي ألقاه الرب على موسى وهارون أما بالنسبة للسحرة فإن مجريات الأمور تقول لنا إن موسى عليه السلام عندما خرج من مصر إلى سيناء أخذ معه بني إسرائيل ومن آمن معه. وكان السحرة ممن هرب مع موسى.

فهل كان السحرة من بني إسرائيل أم من المصريين؟ واقع الأمر يقول إنهم من المصريين حيث جمعهم فرعون من كافة بلاده وهذا حسب نص التوراة وحسب نص القرآن الكريم. وهذا يعني أن من دخل سيناء كان خليطاً من الناس الإسرائيليين والمصريين. فلا يمكن الموافقة على ما يقوله اليهود بالنسبة لنقاء العرق اليهودي وصفائه.

وحين رفض فرعون الإيمان وظل على عناده على الرغم من رؤيته معجزة العصا وفشل السحرة أرسل الله سبحانه لموسى تسع آيات بينات منها ما ارتبط بقصة التحدي لفرعون ومنها ما يخص بني إسرائيل.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101].

وقد أورد القرآن الكريم ذكر الآيات البينات في عدة مواقع.

ففي سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [130].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

وفي سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [56].

ووردت أيضاً في سورة النمل الآية 13 ــ 14 وفي سورة القصص 36 ـ 37 وفي سورة الزخرف 46 ـ 50 وفي سورة القمر 41 ـ 42 وفي سورة النازعات 20 ـ 21 .

وذكرت التوراة الآيات التي جاء بها موسى إلى فرعون وملئه وجعلتها اثنتي عشرة آية وقد وردت في سفر الخروج الإصحاح 14 ــ الإصحاح 8 ــ الإصحاح 9 ــ الإصحاح 10 الإصحاح 11 .

غير أن الذي يلفت النظر فيما ورد في التوراة أن نهر النيل ينقلب ماؤه دماً لمدة سبعة أيام وموت السمك في النهر ونتن مائه . وصعود الضفادع من النهر إلى أرض مصر حتى غطت الأرض وتفشى الوباء في مواشي المصريين من الخيل والحمير والبقر والجمال والغنم . ونزول البرد العظيم يهلك ما أصاب من المواشي والناس وإظلام أرض مصر ثلاثة أيام . وموت كل بكر من الناس والبهائم في مصر .

فإذا كان الوباء قد قتل ما لفرعون وأهل مصر من الحيوانات فمعنى ذلك أنه لم يبق لديهم شيء من هذه الحيوانات . وحسب النص التوراتي فإن جميع الدواب هلكت وهذا يعني أيضاً أن دواب بني إسرائيل لحقها الهلاك . لكن التوراة تورد أن مواشي بني إسرائيل لم تهلك ! ! .

وفي قصة قلب الماء دماً فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهي أن في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة (ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وأنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دماً وتصير ماء في آنية التراب والخشب دماً . ففعل موسى وهارون كل ما أمرهما به السيد إلى قوله وصار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذلك سحرة مصر بسحرهم واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال) . هذا نص حالهم فأخبر أن كل ماء كان بمصر صار دماً فأي ماء بقي حتى يقلبه السحرة دماً كما فعل موسى وهارون[1] .

---

(1) ابن حزم الظاهري الأندلسي ، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص 250 المجلد الأول .

ولو تم فعلاً قلب الماء دماً لمدة سبعة أيام فكيف عاش الناس ومنهم بنو إسرائيل مدة سبعة أيام بالعطش دون ماء؟ ثم كيف صبر موسى وهارون على العطش مدة سبعة أيام؟ لكن التوراة تورد أن المصريين حفروا حوالي النهر لأجل ماء ليشربوا لأنهم لم يقدروا أن يشربوا من ماء النهر. فهذا مدعاة لعدم تصديق النص التوراتي. لأن المدة هنا غير محددة على اعتبار أن القصد من وراء ذلك إظهار المعجزة أو الآية التي تبين قدرة الله الذي لا يريد فرعون أن يؤمن به. فالقرآن الكريم لم يحدد وقتاً، إنما طرح معجزة أو علامة. وقد لا يدوم زمن وقتها كثيراً لأن القصد إقناع فرعون وقومه وليس قتلهم أو إماتتهم عطشاً وإلا لو كان القصد إماتتهم لأماتهم الله جميعهم وأنقذ موسى وقومه دون أية عقبات تذكر.

ثم عندما تذكر التوراة أن أرض مصر أظلمت ثلاثة أيام قالت إن جميع بني إسرائيل كان لهم نور في مساكنهم خلال هذه الظلمة المستمرة ثلاثة أيام. ولو كان الأمر حدث فعلاً لجرى للمخلوقات بما فيها البشر وضمن هؤلاء موسى وهارون ما لا يساعدهم على البقاء، لأن الإنسان أو أي مخلوق حي يحتاج لأشعة الشمس وحرارتها حتى يتابع حياته. ولو افترضنا أن ذلك حدث فعلاً فإن أي عاقل يسأل كم من الممكن أن تصبح درجة الحرارة إذا استمرت ظلمة ما بشكل متواصل مدة ثلاثة أيام؟ وهل تحتمل المخلوقات بما فيها البشر درجة حرارة منخفضة جداً ولا تتعرض لأمراض فتاكة أو موت مؤكد؟ وكل الأسئلة جائزة إلا إذا كان في الأمر معجزة.

بعد هذه الحوادث أمر الله موسى أن يهرب من مصر ومعه بنو إسرائيل. فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: 77].

أما التوراة فإنها ترى أن فرعون هو الذي أذن لموسى بالرحيل وتتحدث عن قصة أخذ الإسرائيليين أمتعة من ذهب وفضة من المصريين. (طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى

أعاروهم فسلبوا المصريين. فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد)36 ـ 37 ـ 38.

(وقال الرب لموسى وهارون هذه فريضة الفصح. كل ابن غريب لا يأكل منه. ولكن كل عبد مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه. النزيل والأجير لا يأكلان منه) الإصحاح الثاني عشر 43 ـ 44 ـ 45 ـ 46.

فالقرآن الكريم يورد حادثة هرب بني إسرائيل بأمر من الله سبحانه. وهذه الحادثة تأتي زمنياً بعد الجدال الطويل الذي جرى بين النبي موسى وبين فرعون.

غير أن التوراة تورد حوادث وأموراً قبل الحديث عن العبور. وما ورد يستحق التوقف والمناقشة، ترى التوراة أن الرب أمر الإسرائيليين بسرقة المصريين عن طريق الحيلة. فهذه الحادثة فيها عدة وجوه.

1 ـ إذا كان الرب قد أمر بني إسرائيل فعلاً بسرقة المصريين فإن هذا يعني أن الرب نفسه يبيح السرقة وهذا مناف لطبيعة أوامر الله. والذي نراه أن كاتب التوراة أدخل هذه الحادثة بقصد. وقد لا تكون حدثت فعلاً. لأن الصراع بين العبرانيين والمصريين كان على أشده والإسرائيليون مهددون في أي لحظة، من قبل فرعون وشعبه، فكيف تسنى للإسرائيليين وهم حسب قول التوراة أكثر من نصف مليون إنسان أن يسلبوا المصريين أواني الذهب والفضة ثم يرحلوا وهم يحملونها باتجاه البحر ومن ثم سيناء، ثم هل لديهم الوقت الكافي كي يستعيروا هذه الأواني الفضية والذهبية وهم متأهبون للهروب خائفون من فشلهم؟

2 ـ ما الغاية من سرقة المصريين أوانيهم؟ هل ليثبت الإسرائيليون أنهم قادرون على خداع المصريين أم ليدللوا على أنفسهم أنهم ذوو رغبة جامحة في اقتناء الذهب والفضة؟ ثم ما الوجه القانوني الذي يبيح لهم سرقة مثل هذه الأشياء، لقد نصت التوراة حرفياً على السرقة وفعل السلب (حتى أعاروهم فسلبوا المصريين).

3 ـ إذا كانت الحادثة حدثت فعلاً فإنها تدلل على أن بني إسرائيل وقائدهم موسى

ذوو ميول عدوانية منذ بدء حياتهم.

أما الذي نراه أن موسى عليه السلام لم يأمرهم بسرقة المصريين، وكان هدفه الأساسي إخراج قومه وبأقصى سرعة من مصر ليتخلصوا من ظلم فرعون.

وإذا كانت التوراة ترى كما نصت أن الرب أعطى نعمة للشعب في عيون المصريين حتى يعيروهم الأمتعة. فإن ذلك أيضاً يؤكد أن الرب ساعدهم حتى في الوسيلة غير الشرعية ليحصلوا على هدف غير شرعي.

أما قول التوراة بأن بني إسرائيل بلغ عددهم عندما ارتحلوا ستمائة ألف راجل ما عدا الأولاد، فإن التوراة نصت سابقاً أن الذين دخلوا مصر من أبناء يعقوب وأحفاده بلغوا بضعاً وسبعين فرداً. وإذا افترضنا أنهم فعلاً مكثوا أربعمائة سنة في مصر (وهذا أيضاً رقم مرفوض) فإنهم لن يبلغوا هذا العدد الخيالي ستمائة ألف إنسان عدا الأولاد. ولنفترض أن من بين كل ستة أشخاص شخصاً يحمل ولداً أو يجره فإن عدد الأولاد سيبلغ مائة ألف وهذا يعني أن المجموع بلغ سبعمائة ألف إنسان وعلى ذلك نسأل كم عدد المصريين آنذاك؟

كم استغرق تجميع هذه الأعداد الهائلة حتى يسيروا مسيراً واحداً نحو البحر وسيناء؟ ألا يمكن لهذه الأعداد الهائلة منهم أن تقف في وجه فرعون وتقوم بثورة إذا ما ظُلمت، ثم إن نص التوراة يؤكد أن الذين هربوا مع موسى لم يكونوا من بني إسرائيل فحسب إنما كان معه العبيد والأجراء والنزلاء.

ومن التناقض في ذلك أن بني إسرائيل أنفسهم كانوا مستعبدين فكيف كان لديهم عبيد وأجراء ونزلاء؟

ثم إن السحرة الذين هم ليسوا من بني إسرائيل آمنوا بموسى وبرب موسى واتبعوه في هروبه. على أية حال وعلى الرغم من أن أعداد الذين هربوا مع موسى لم يكونوا بهذا الحجم إلا أنهم كانوا خليطاً من البشر. منهم أعداد من بني إسرائيل ومنهم السحرة ومنهم آخرون من الفقراء والمظلومين أما حادثة عبورهم

بالبحر فهي واردة في التوراة كما هي واردة في القرآن الكريم. والواسطة كانت عصا موسى إلا أن التوراة تقول: هبت ريح قوية أزاحت المياه عن مكانها بينما في القرآن الكريم ظلت في نطاق المعجزة الإلهية.

ولو لاحظنا ما في الآيات القرآنية من بيان لوجدنا أنه يرشدنا إلى جميع القضايا السابقة بأسلوب واضح جلي.

فقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: 53 ـ 54] يدل على أن بني إسرائيل لم يكونوا كثيري العدد حسب ما تزعم التوراة. ولو كانوا كذلك لما استهان بهم فرعون ووصفهم بالشرذمة.

بنو إسرائيل في سيناء:

يشغل وجود بني إسرائيل ومن هرب معهم من مصر في صحراء سيناء حيزاً واسعاً في التوراة والقرآن. ولعل جميع ما شرعه موسى لهم كان أثناء وجودهم في هذه الصحراء. ويتفق القرآن والتوراة في معظم الخطوط العامة لحياة بني إسرائيل في الصحراء.

غير أننا نرى في التوراة أموراً يجب التوقف عندها قبل الحديث عن مجريات الأمور في صحراء سيناء.

أولاً: تقول التوراة: (وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه كان استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم) خروج الإصحاح الثالث عشر 18 ـ 19.

وكانت التوراة قد قالت في آخر جملة من سفر التكوين (ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه ووضع في تابوت في مصر).

فمعلوم أن المكتشفات العلمية المتخصصة بالفراعنة وبالتحنيط بالذات أقرت بأن التحنيط يبقي على الجثة البشرية مدة طويلة من الزمن قد تصل ألفي عام أو

أكثر. وهناك في متحف لندن والمتاحف المصرية بضع جثث محنطة لبعض الفراعنة وتقوم إلى الآن عليها دراسات علمية تشريحية.

فإذا كان يوسف قد حُنِّط فعلاً فالمفترض أن تبقى جثته سليمة إلى حد كبير لأنه لا يفصل بين موته وخروج بني إسرائيل أكثر من مائتي سنة على أكثر تقدير.

وقد سبق أن أشارت التوراة إلى أن يوسف أمر بتحنيط جثة أبيه النبي يعقوب عندما مات في مصر وذكرت أن مدة تحنيط جثته استمرت أربعين يوماً ثم وضعت في تابوت ونقلت إلى الخليل لتدفن هناك.

ولم يورد القرآن الكريم شيئاً عن وفاة يوسف أو تحنيط جثته أو حتى نقل رفاته إلى فلسطين من مصر.

ثانياً: وتقول التوراة في آخر الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج: (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ليمشوا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب).

فهذا النص يشير إلى تجسيد واضح للإله. وهل يعجز الله أن يهديهم بأسلوب آخر كأن يرسل ملكاً يتحمل مسؤولية هدايتهم إلى الطريق؟ أو أن يسخر لهم عمود نار أو دخان يدلهم السبيل؟ ألا يصح مسيرهم إلا إذا كان الرب يسير أمامهم في الليل والنهار؟.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 61 ـ 62].

ومعنى الهداية هنا أن الله سبحانه سيساعدهم في الطريق.

يقول ابن كثير: (وكانوا يسيرون في النهار والسحاب بين أيديهم يسير أمامهم فيه عمود نور. والليل أمامهم عمود نار فانتهى بهم الطريق إلى ساحل

البحر فنزلوا هناك)[1].

ثالثاً: وتقول التوراة في الإصحاح الخامس عشر: (من مثلك بين الآلهة يا رب) فهذا النص يؤكد إيمان بني إسرائيل بأن هناك آلهة أخرى غير الإله الذي أنقذهم من فرعون وظلمه وسار معهم يهديهم الطريق على شكل عمود من دخان وعمود من نار في الليل والنهار.

رابعاً: تقول التوراة في الإصحاح الخامس عشر (يسمع الشعوب فيرتعدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين حينئذ يندهش أمراء أدوم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة، يذوب جميع سكان كنعان. تقع عليهم الرهبة والرعب، بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يا رب).

وهذا النص يوضح تماماً أنه وضع بعد موسى بمئات السنين. لأن مجريات الأحداث تقول إن موسى وقومه كانوا يترجون الله أن ينقذهم من فرعون ويهربون. فما الذي جعل موسى وبني إسرائيل يأتون على ذكر الأدوميين والمؤابيين والفلسطينيين والكنعانيين أليس هذا مدعاة للقول إن بني إسرائيل بعد أن سباهم البابليون صنعوا هذه الكتابات ليربطوا القضايا الدينية بالقضايا السياسية التي استجدت والتي لم يكن لموسى شأن فيها؟ وإلا لماذا يحب موسى أن يرتعب هذا الشعب وهذا الشعب وهو لا يرتبط بهم بأية علاقة جغرافية أو سياسية أو حتى اجتماعية؟.

ثم ما هذه المفاجأة التي أوحت لموسى أن يذكر هذه الشعوب وهو لم يذكرها سابقاً أو يتذكرها؟ إن كان هناك مدعاة للتذكر.

ويستطيع المرء أن يلحظ أن مهمة موسى وبني إسرائيل في التوراة بدأت تنقلب في توجهاتها وأهدافها وهذا ما ستؤكده الأحداث التالية في تاريخ بني إسرائيل.

وتتابع الأحداث فيدخل بنو إسرائيل سيناء ويتذمرون على موسى وهارون

---

(1) ابن كثير قصص الأنبياء صفحة 322.

لقلة الماء والأكل فدعا موسى ربه أن يكفيهم حاجاتهم فبعث لهم الله المن والسلوى وهذا ما جاء في التوراة في الإصحاح السادس عشر وأكده القرآن الكريم فلا خلاف حول هذه المسائل.

وعندما استقر بهم المقام في سيناء ذهب موسى لميقات ربه ليتلقى تعاليم الشريعة من قبل وحي الله عز وجل. وقد غاب موسى عن قومه ثلاثين يوماً وأتبعها بعشر ليال ثم تلقى رسالة السماء.

يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 144 ـ 145].

وترد تفاصيل كثيرة عن ذهاب موسى لربه عند جبل (حوريب) في سيناء وذلك في الإصحاح 19 والإصحاح 20 من سفر الخروج. وهذه التفاصيل تجسد الله بشكل فج وتحدده.

تقول التوراة: (فقال الرب لموسى ها أنا إليك في ظلام السحاب) مقطع 9.

(لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء) مقطع11.

(وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله) مقطع 17.

(وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه) مقطع18.

(نزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل) مقطع 20.

ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

ففي المقاطع التوراتية نرى تجسيداً واضحاً للرب لأن الشعب حسب قولها سوف ينزل على الجبل فيراه موسى وكافة أفراد الشعب. وتكرار الحديث في عدة مقاطع عن نزول الله على الجبل يؤكد تحريف التوراة التي نزلت على موسى. لأن الله سبحانه لم يتجسد لموسى ولا لقومه.

ولو نظرنا إلى الآية القرآنية الكريمة السابقة لأدركنا صحة الحدث كما حصل فعلاً. فالله سبحانه لم يتجسد ولم يهبط من أعاليه على الجبل كما قالت التوراة، فالذي حدث أن موسى طلب رؤية ربه فقال له الله إن رأيت الجبل مستقراً فإنك ستراني فنظر موسى ينتظر لكن الله تجلت قدرته على الجبل فدكّه دكاً ولهول ما رأى موسى من دك الجبل خر صعقاً مغشياً عليه فلما أفاق استغفر ربه لما بدر منه من التمادي وتجاوز الحدود.

وعلى ذلك فإن موسى لم ير الله سبحانه وإنما سمع نداء الله ليبلغه رسالة السماء. فإذا كان الذي حدث مع موسى قد صعقه فكيف إذا رأى الشعب كله الله، وهم ليسوا أنبياء مهيئين لحمل رسالة السماء كما هو موسى عليه السلام.

وفي غياب موسى لتلقي الرسالة انقلب قومه على ديانة التوحيد وصنعوا عجلاً وراحوا يعبدونه حتى عاد موسى. وهذا ما صرح به القرآن الكريم وصرحت به التوراة. لكننا سنجد اختلافاً كبيراً بينهما.

ففي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 148].

ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 150].

ويقـــول تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : 90 ـ 91].

وتقـول التـوراة في سـفر الخـروج الإصحـاح الثـاني والثلاثـين : (ولمـا رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشـعب على هـارون وقـالوا لـه قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا مـن أرض مصـر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعـوا أقـراط الذهـب التـي في آذان نسـائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التـي في آذانهـم وأتـوا بها إلى هارون فأخذ ذلـك مـن أيديهـم وصـوره بـالإزميل وصنعـه عجـلاً مسـبوكاً فقالوا هذه إلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر) .

فالفرق الذي نراه أن التوراة تقول إن هـارون أخـا موسـى اسـتجاب لطلبهـم وصنع لهم العجل والحقيقة القرآنية ترى أن السامري هو الذي صنـع العجـل بينمـا حاول هارون أن يثنيه ويثنيهم عن صنـع العجـل لكنهـم أبـوا وهـددوا بقتلـه إن هـو عـارضهم أو قـاومهم والآيـة القرآنيـة تصـرح بذلـك كمـا مـر معنـا (إن القـوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) .

وهـارون كمـا صـرح القـرآن الكريـم نبـيٌّ مرسـل مثلـه مثـل موسـى عليهمـا السلام ولا يمكن أن ينجرف نبي إلى عقيدة وثنية بعدما منّ الله عليه وشـرح صـدره للتوحيد ومعلوم أن الله عصم الأنبياء من أن ينحرفوا عن الإيمـان بوحدانيتـه . وقـد أوضحت الدراسات أن بني إسرائيل تأثروا بعقائد الشعوب التي خالطوهـا أو مـروا بها وهم في طريقهم عبر سيناء . فعبادة العجل أو رمز البقرة موجودة لدى المصريين القدماء وبعض شعوب المنطقة . وانحراف بني إسرائيل إلى هذه العقائد يدل بشكل واضح على أنهم لم يرسخوا عقيـدة التوحيـد في نفوسـهم وعقولهـم ، وهـذا مـا يـدل عليه تقبلهم الدائم والمستمر من عقيدة إلى أخرى .

وقد أوردت التوراة في سفر الخروج وفي الإصحاح الثالث والثلاثين مقاطع عديدة تعيد فيها التأكيد على أن الله ينزل ويجتمع بموسى في خيمة الاجتماع التي نصبها موسى ليقضي للشعب تقول: (وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى) مقطع 9.

وتقول (ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه) مقطع 11. وهذا أيضاً يناقض قول التوراة (وقال لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش) خروج 23: 20.

ألواح موسى:

يشير القرآن الكريم وتشير التوراة إلى أن وصايا الله لموسى كتبت في ألواح أو في لوحين كما تقول التوراة.

يقول تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 145].

ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [الأعراف: 150].

وجاء في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج (ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما وتقول: ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله).

فالذي فهم من سياق آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه أوحى لموسى بالتوراة وبكتابتها على ألواح حتى تحفظ ويعلمها لبني إسرائيل.

ويفهم أيضاً أن موسى ألقى الألواح وقد تكون تكسرت وهذا يعني أن التعاليم المكتوبة فيها لم تُحفظ باعتبار أن الألواح أتلفت.

إلا أن التوراة تشير إلى أن الله أمر موسى أن يصنع لوحين جديدين لتكتب

عليهما تعاليم التوراة. على أية حال فإننا نرى اتفاقاً في أن الألواح ألقيت ولكن القرآن لا يشير إلى استبدال اللوحين بلوحين جديدين.

غير أن الذي يستوقف هنا هو قول التوراة أن ما كُتب في اللوحين هو بخط إصبع الله أو بيده وهذا ما يذكرنا دوماً بالحس التجسيدي لدى اليهود لذات الله حيث يضعون له ما يضعونه لبني البشر.

أما محتوى هذه الكتابات الموجودة على الألواح فملخصها أنها تدعو بني إسرائيل إلى التمسك بالتوحيد دون الإشراك بالله إضافة لتعاليم أخلاقية كعدم السرقة وعدم الزنا إلى ما هنالك من تعاليم أخلاقية أخرى.

على أية حال فإن قول القرآن الكريم ـ كتبنا له في الألواح ـ يحدد أن التوراة كتبت على ألواح وليس على لوحين كما ذكرت التوراة. والتوراة بما فيها من تعاليم موسى تحتاج أصلاً لعدة ألواح حتى تدوّن عليها ولا يكفيها لوحان.

وهناك أقاويل حول طبيعة الألواح هل هي من فخار مشوي أم هي من صخر نحتت على شكل لوح؟ أم هي ألواح خشبية. وهذا ليس فيه جزم إنما هي أقوال متباينة.

ـ ما هي التوراة التي أنزلت على موسى؟ ما هي لغتها؟

لم يصرح القرآن الكريم في آية من آياته عن طبيعة اللغة التي أنزلت بها التوراة أما عن تعاليمها فيستطيع أي قارئ للقرآن والتوراة أن يعرفها بتفاصيلها على الرغم من أن كتبة التوراة أخفوا الكثير من الحقائق التوراتية التي أنزلت على موسى.

وكتب الله تعالى ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من بيان الحلال والحرام والمحاسن والقبائح في ألواح اختلف المفسرون في عددها بين عشرة واثنين كما اختلفوا في حقيقتها بين خشب وحجر. وكان المكتوب فيها مواعظ وأحكام وتفصيل لكل شيء يهم بني إسرائيل وأمره الله تعالى أن يأمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسنها أي يسيروا على أحسن وأفضل ما رسم فيها.

أما بالنسبة للغة التوراة فإنها لا تشير إليها لكن أحبار اليهود ذكروا فيما بعد أنها اللغة العبرية. فهل حقاً أنزلت التوراة باللغة العبرية؟

فموسى كنبي رحل من مصر هارباً وهو شاب وكان قد تربى في بيت فرعون وحفظ لغة المصريين ولم يعرف لغة غيرها. وعندما جاء إلى مدين مكث عشر سنوات. وهذه السنوات كفيلة بأن يتعلم موسى لغة أهل مدين. وعندما عاد إلى مصر ليحاجج فرعون كان يعرف لغتين لغة أهل مصر ولغة أهل مدين، ولما هرب مع بني إسرائيل إلى سيناء وذهب إلى جبل حوريب وأنزلت التوراة عليه فقد أنزلت باللغة التي يفهمها هو وقومه.

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4].

يقول ابن كثير: (هذا من لطفه تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلاً بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم)[1].

إذا فاللغة التي يفهمها بنو إسرائيل آنذاك كانت المصرية أو هي خليط من المصرية وغيرها وموسى لم يعرف سوى اللغة المصرية ولغة مدين. وعلى ذلك فإن التوراة لم تنزل على موسى باللغة العبرانية إنما نزلت بلغة موسى وقوم موسى.

والدارسون للغات يؤكدون أن العبرية ظهرت متأخرة عن اللغة المصرية أو الكنعانية فهي حديثة بالنسبة لغيرها من اللغات الشرقية.

ولما دُونت التوراة في زمن السبي البابلي كانت اللغة العبرية قد اكتملت بالشكل القديم لها وظلت متداولة بين اليهود منذ ذلك الوقت والفاصل الزمني بين وجود موسى والسبي البابلي يبلغ أكثر من سبعمائة عام. وهذه الأعوام كفيلة أن تغيّر في لغة التوراة وفي كثير من تعاليمها كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم.

---

(1) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء صفحة 260.

الأرض المقدسة والوعد التوراتي:

يشكل مفهوم الأرض المقدسة مفصلاً هاماً في تاريخ بني إسرائيل باعتبارها حسب ما نصت عليه التوراة الأرض التي وعدوا بها أن يتملكوها. وهذا الوعد حسب أقوال التوراة بدأ منذ النبي إبراهيم واستمر يفعل فعله حتى زمن موسى.

وقد نص القرآن الكريم في سورة المائدة على ذكر الأرض المقدسة. وخاطب موسى بني إسرائيل أن يدخلوها. أما التوراة فقد ذكرت الأرض الموعودة مرات عدة في سفر التكوين وتكرر ذكرها في أسفار عدة كسفر الخروج والتثنية وغيرهما.

وقد وقع معظم الدارسين والمفسرين في أخطاء دينية وأخرى تاريخية بسبب فهمهم لما عنته الآية القرآنية ولما عنته التوراة.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 20 ـ 26].

وقد وردت آيات قرآنية أخرى تتحدث عن الأرض المباركة.

يقول تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71].

ويقول تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 81].

ويقول تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: 1].

ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: 18].

فهنا أرض مباركة. وهناك أرض مقدسة فهل هما أرض واحدة؟ نرجئ الجواب بعد أن نورد النصوص التوراتية التي تحدثت عن الأرض التي وعد الله بها إبراهيم حسب ما جاء عندهم.

تقول التوراة في سفر التكوين الإصحاح السابع عشر (ولأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً).

وجاء في الإصحاح السادس والعشرين (لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك).

وجاء في الإصحاح الثامن والعشرين (الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك).

وجاء في سفر الخروج الإصحاح الثالث: (فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى الأرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً).

وجاء في الإصحاح الثالث والثلاثين: (قال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم واسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً).

وجاء في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: (وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبّو إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض إفرايم ومنسّى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخيل إلى صوغر. وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. ولم يقم بعد نبيٌ في إسرائيل مثل موسى الذي عرف الرب وجهاً لوجه).

قد يجد المقارن بين ما جاء به القرآن الكريم وما جاءت به التوراة تشابهاً فيما وعد به بنو إسرائيل من منحهم أرضاً مقدسة بناء على وعدٍ قدمه الله سبحانه للنبي إبراهيم.

غير أن القرآن الكريم لم يصرح أو يلمح في أية آية من آياته الكريمة أن الله قطع وعداً لإبراهيم بأن يملكه ونسله أرضاً ما. وإذا كان الرب قد وعد إبراهيم بامتلاك أرض كنعان حسب ما قالت التوراة فلماذا لم يحقق الله وعده. ولم يملك إبراهيم أو اسحق وأولاده هذه الأرض. ووعد الله لإبراهيم يشمله ويشمل نسله من بعده وهذا يعني أيضاً أن إسماعيل له الحق بالتملك باعتباره ولد إبراهيم.

قلنا عند مناقشة سفر التكوين: إن الله سبحانه نجّى إبراهيم ولوطاً من القوم الكافرين إلى الأرض التي باركها الله للناس كافة (للعالمين) وقد وردت في عدة آيات قرآنية كما رأينا، لكن لم يرد أن الله قطع وعداً لإبراهيم بأن يملكه هذه الأرض المباركة.

أما قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 5] فهكذا قال موسى لقومه وتحديد الأرض بالمقدسة لا يعني بالضرورة هي نفسها

الأرض المباركة. لأنها لو كانت نفسها لجاء ذلك مكرراً بلفظ المقدسة في عدة مواقع. فالأرض المباركة باركها الله للعالمين وليس لشعب دون شعب وهي تعني المباركة الروحية الدينية ولا تعني التملك المادي والاستئثار ولو كان ذلك يعني التملك لكان من حق كافة الناس أن يدعوا أنها تخصهم أما إذا أردنا التوقف عند قول موسى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم فهي لا تفهم مقاصدها إلا إذا قرأناها في سياق الآيات الكريمة التي جاءت بعدها وقبلها ولو توقفنا أولاً عند كلمة ادخلوها لوجدنا أنها لا تحمل معنى افتحوها أو اغزوها أو اقتلوا من فيها أو ما شابه تلك الألفاظ من الأفعال التي تأمر بالغزو. والدخول يعني عدة احتمالات وليس احتمالاً واحداً. وقبل التفصيل في هذه المسألة نعود إلى السياق القرآني حيث تقول الآية الكريمة على لسان بني إسرائيل: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: 22] فمن هم هؤلاء الجبارون وما هي تلك الأرض المقدسة التي كانوا فيها؟

لو قلنا إنهم الكنعانيون فالكنعانيون لم يعرفوا بالجبارين ولو كانوا كذلك لما نجى الله إبراهيم ولوطاً إلى أرضهم. ولم يشر القرآن ولا حتى التوراة إلى أية معاملة سيئة قوبل بها إبراهيم من قبل أهلها الكنعانيين.

ولو قلنا إن الأرض المقدسة هي القدس. فالقدس لم يكن فيها قوم جبارون بل كان فيها بنو يبوس أي اليبوسيون الذين لم يعهدهم التاريخ أنهم جبارون، وليست هناك أية دلائل تشير إلى ذلك لا من خلال الدراسات التاريخية ولا الأثرية المرتبطة بها.

ثم لو نظرنا إلى القول التوراتي على لسان ربهم مخاطباً موسى ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى ولم يعرف إنسان قبره.

ولو نظرنا إلى الآية القرآنية عندما تقول: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26] نجد أن اتفاقاً قرآنياً توراتياً ينص على أن موسى وقومه لن يدخلوا تلك الأرض المقدسة وهي محرمة عليهم.

والمدقق في سياق الآيات القرآنية يرى أن قول موسى ادخلوا الأرض المقدسة لا يبتعد كثيراً عن قول الله تعالى فإنها محرمة عليهم. وهذا يعني أن قول موسى ادخلوا الأرض المقدسة ما هو إلا امتحان من موسى لقومه لكي يظهرهم الله لهذا النبي على أنهم جبناء ولا يعتمد عليهم. تصوروا قولهم لموسى لن ندخلها حتى يخرجوا منها. فكيف يمكن أن يخرج الجبارون من أرضهم هم وأولادهم ونساؤهم ويفرغوها ثم يقولون لبني إسرائيل ها هي الأرض نظيفة أمامكم فتعالوا اسكنوها؟

فقوم موسى ليسوا رجال قتال حتى يستند موسى عليهم لدخول أرض فيها قوم جبارون. فالمسألة برمتها لا تعدوا أن تكون في نطاق الكشف عن خباياهم ونكثهم للعهود والمواثيق التي عقدوها مع موسى ومع رب موسى.

ومع الافتراض أن اليهود وعدوا من قبل موسى بدخول الأرض المقدسة فلا يعني ذلك احتلالها والدليل قوله تعالى على لسانهم ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قد يكون الدخول يتضمن قتالاً ضد هؤلاء الجبارين. لكن هؤلاء الجبارين ليسوا أصحاب أرض إنما هم جنود أو جيوش مارست الحرب والفتح عندما جاءت إلى هذه الأرض. وهذا ما يقرّبنا إلى القول إن أقواماً من شعوب البلستة اليونانية هي المقصودة. لأن كافة الدراسات التاريخية تشير إلى أن هذه الشعوب زحفت من البحر باتجاه فلسطين قبل 1150 من الميلاد وهذه الفترة ذاتها التي كان موسى موجوداً فيها على مقربة من حدود الأردن وفلسطين فالكنعانيون بجميع قبائلهم لم يعرفوا بالجبروت طوال حياتهم.

وهناك افتراضات أخرى يمكن أن نلقي الضوء عليها لنتبين أبعاد المسألة أكثر فأكثر. فالقرآن الكريم يصرح ضمن الآيات الكريمة بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: 23] وهذا يعني أن الأرض المقدسة المقصودة هنا ليست سوى قلعة أو قرية صغيرة محصنة ولها باب. وعندما تقول الآية القرآنية ادخلوا عليهم الباب أي أن مركز القوة أو الضعف هو عند باب هذه القلعة أو القرية المحصنة.

وهذا يعني أيضاً إذا كان هناك وعد إلهي بالأرض حسب النص الذي ورد في القرآن فإن هذه الأرض المقدسة قد لا يعني أكثر من هذه القلعة أو هذه القرية الصغيرة المحصنة وهي ليست لها علاقة بالأرض المباركة التي باركها الله للعالمين.

ثم هناك افتراض آخر يقول إن القوم الجبارين قوم وثنيون، وعندما طلب موسى من قومه دخول الأرض المقدسة كان القصد تخليص هذه الأرض المقدسة من الوثنية وإقامة دين موسى التوحيدي والله يرث الأرض لعباده الصالحين.

لكن قوم موسى لم يكونوا صالحين، وثبت عدم صلاحهم منذ أن امتحنهم موسى الامتحان الأول حين رفضوا إطاعة أوامره.

فالقصة منذ أن طلب موسى منهم دخول الأرض المقدسة وحتى نزول أمر الله بتحريمها عليهم أحد الأدلة الكثيرة التي توضح طبيعة بني إسرائيل في تعاملهم مع أوامر أنبيائهم وطالما أن آيات القرآن الكريم تخاطب قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن إيرادها من قبل رب العالمين تدخل ضمن سياق التعليم والعبرة والإخبار بالماضي والغيب الذي لا يعلمه بتفاصيله إلا الله سبحانه وتعالى.

محطات في حياة موسى:

يقع كثير من الباحثين الغربيين والعرب في تقديرات فاحشة حينما يصورون شخصية النبي موسى عليه السلام. فمنهم وبسبب هوى قومي أو ديني يجدون في موسى قائداً عسكرياً محارباً دموياً وليس له أي فضل في إرساء ديانة التوحيد ومحاولته نشرها بين بني إسرائيل.

ولعل ما وقعوا به من تجنٍّ على هذا النبي هو تفسيرهم لما جاء في نصوص التوراة من تصوير لشخصيته ولعدم تفحص شخصيته كما بينها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فالتوراة التي كتبت بعد موسى بقرون لم تترك نبياً من الأنبياء إلا وحاولت تشويهه منذ النبي إبراهيم وحتى آخر أنبياء ورجال بني إسرائيل.

وإذا أردنا إلقاء الضوء الحقيقي على الأنبياء ولا سيما موسى عليه السلام علينا أن ندرك أن القرآن الكريم أعطانا أدق التفصيلات في تصوير حياته وبيّن الحق من الباطل فيما قيل عنه. فموسى ليس كما يتصوره بعض الباحثين من أنه قائد محارب دموي وليس هو كما صورته التوراة. وإذا أردنا الإنصاف والحق فلا بد لنا من العودة إلى نصوص القرآن الكريم لنرى شخصية هذا النبي على حقيقتها.

فموسى قبل أي اعتبار نبي مرسل تلقى من الله سبحانه رسالة التوحيد وقد حاول كل جهده تثبيت هذه العقيدة في نفوس قومه إلا أنهم آذوه كثيراً وشكا منهم طوال حياته ومات وهو غير راضٍ عنهم وعن إيمانهم المشوه والمتزعزع.

وما نزل عليه من تعاليم لا يختلف في جوهره عما نزل على قلب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من قرآن. فالأنبياء جميعاً ينهلون من نبع رباني واحد. وإن اختلفت الأحداث أو العصور.

ولننظر إلى ما وقع فيه الباحثون من تجن على شخصية هذا النبي:

يقول الباحث ندرة اليازجي: (موسى وسيلة لإيقاف الشر بالعنف ولهذا ساد العنف في الناموس ومن هنا يحاول المؤرخون أن يوازنوا بين شريعة حمورابي وشريعة موسى. فكلا الشريعتين تجعلان من العنف وسيلة لوضع حد للشر ولا تعلمان الخير وتظل المقارنة بينهما ما ظل العنف والقسوة. فهل يمكن أن تقوم شريعة بدون عنف وقسوة؟ لا إذن لا ناموس ولا شريعة من الله)[1].

ويقول اليازجي (ولم يخرج موسى عن حكمة مصر والكلدان ولم تكن مؤلفاته إلا نسخة ثانية لحكمة الآخرين لكنها نسخة مشوهة)[2].

ويقول (لم يصل موسى إلى درجة النبوة قبل الأربعين. ففي الأربعين اكتملت فيه درجة حكمة المصريين. وكان موسى متعصباً لبني قومه أي لإلهه

---

(1) ندرة اليازجي رد على التوراة ص 165 ـ 166 دار الغربال دمشق ط ثا 1987.

(2) ندرة اليازجي المصدر نفسه ص 165 ـ 166.

وعرقياً برأيه وليس إبراهيم إلا شخصية موسى ذاتها التي وضعها لتشير إلى ديانة يهوه إله الغضب والحقد والدم[1].

ويقول: عندما نقارن بينه وبين موسى نجد ما يلي:

1 ـ عرقية موسى وعالمية المسيح والعرقية تعصب لشعب وكره لشعوب أخرى والعالمية محبة وتضحية.

2 ـ موسى يقتل يريق الدم فهو قاتل يمثل الناموس الحرف والمسيح يحب أن يراق دمه فهو ناموس الله.

3 ـ موسى قائد شعب والمسيح محب للإنسانية جمعاء وخادمها[2].

(أما موسى فقد قاده تعصبه إلى قيادة أهل مصر الإسرائيليين قادهم مادياً ولم يقدهم روحياً ولو قادهم روحياً لظلوا حيث كانوا يعبدون الإله الحق. إن تعصب موسى قاده إلى تشخيص الإله تشخيصه في أرض وفي ناموس وكانت هذه العملية علة لغضب الإله)[3].

ويقول اليازجي: (عمد اليهود وعلى رأسهم موسى إلى أخذ آراء غيرهم والعمل على طمسها لتعطي الأسبقية لهم ولتظل من تراثهم ولتعتبر خاصة بهم وهكذا لم يكونوا من حاملي مشاعل النور. وقد أخذ موسى مبادئه من تعاليم الأمم التي لم يفهمها تماماً)[4].

فمن خلال هذه النصوص وغيرها مما جاء في كتاب الباحث اليازجي لا يرى المرء إلا آراء تعصبية من شأنها التحامل على شخصية النبي موسى عليه السلام ولو اطلع ندرة اليازجي على قصة النبي موسى كما أوردها القرآن الكريم لعفى نفسه من جميع ما قاله بشأن موسى فاستناده على التوراة جعله يطلق أحكاماً في غاية القسوة وغاية الذاتية، وليست التوراة محل ثقة لنستند عليها سيما إذا أردنا أن نتحدث عن أنبياء الله.

---

(1)(2)(3)(4) ندرة اليازجي المصدر نفسه ص 165 ـ 166ـ175.

فما الذي يدري الباحث أن شخصية هذا النبي كانت هكذا مثلما وصفتها التوراة؟ وهل تكفي التوراة ليؤكد أن هذه الشخصية فعلاً هكذا كانت؟

لقد درج كثير من الباحثين المنحازين إلى الكنعانية وإلى مفهوم أرض سوريا الكبرى إلى الهجوم دون هوادة على إبراهيم وموسى وبقية الأنبياء وهذا الهجوم يعتبر في نظرهم حق لأنهم يهاجمون الغزوة العبرية التي قادها بعض هؤلاء الأنبياء وهذا بالطبع ما جاء في التوراة وهو يجافي الحقيقة التي يمكن أن نكتشفها من خلال القرآن الكريم.

وعندما نتصفح ما كتبه الدكتور جرجي كنعان في كتبه نجد أنه لا يخرج عما جاء به الباحث ندرة اليازجي. فموسى حسب رأيه قائد قاتل غادر غازٍ لا يمت إلى النبوة في شيء. وفي جميع ما كتبه هذا الباحث يتجاهل الحقائق القرآنية التي تبين شخصية موسى على حقيقتها. وهذا هو نفس القصور الذي وقع فيه الباحث ندرة اليازجي.

فالتوراة ليست مقياساً البتة في التعريف بأي شخصية هامة ولاسيما شخصية نبي من الأنبياء إننا إذا أردنا الإنصاف والموضوعية علينا أن ندرك الحقائق والسمات لأي شخصية نبوية ليس من خلال ما سطرته أقلام البشر بل من خلال الحقائق الإلهية التي لا يمكن أن تخطئ بأي مقولة مهما كانت.

يقول جرجي كنعان: (لعل أول سطر في سيرة موسى هو صفة العنصرية الشوهاء والتعصب الأعمى التي خلعها على أتباعه وجعلها فريضة دينية)[1].

ويقول: (وكأن موسى كان يعي أن سلطان الدين سبيل إلى تحقيق سلطان الدنيا ووجد من الضروري أن يكون لجماعته إله يرعاهم ويطعمهم ويحميهم ويخطط لهم في المعارك ويقودهم في الحروب ويكون بينه وبينهم نوع من المنفعة المتبادلة)[2].

ويقول: (ففي واد من أودية سيناء أوهم موسى أتباعه بأن رسالة جديدة

---

(1)(2) جرجي كنعان سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية صفحة 43 ط1 1980.

جاءت له من إلهه)[1].

ويقول في موقع آخر: (ألا يكون الأقرب إلى العقل والمنطق أن موسى النبي حين كان زعيماً لقبيلة يهودية ضاربة في صحراء سيناء فكر بغزو أطراف أرض كنعان لكنه مات قبل أن يحقق حلمه)[2].

ويقول: (ووجد موسى من الضرورة أن يكون لجماعته إله يخطط لهم في المعارك ويقودهم في الحروب ووجد أن خير الصفات تكون لهذا الإله هي الغضب والحقد والاغتباط وسفك الدماء وإشعال نار الحروب. وهذه الصفات في الغالب صفات موسى أعطاها لربه وقاد بها أتباعه. فموسى حين حاول أن يجمع قومه بيهوه كان من الطبيعي أن يجعل منه إلهاً قومياً خاصاً بهم. ويكفي أن نعلم أن يهوه إله حرب إقليمي قبلي مثله مثل آلهة القبائل أو الممالك الأخرى اتخذه موسى إلهاً وجعله ينطق بما يشاء ويضع الأوامر والأحكام على لسانه لتكتسب صفة المقدس. وفرض عبادته على قومه بني إسرائيل بالإرهاب المصحوب بالقتل والتذبيح)[3].

وقد بر يهوه أو موسى لا فرق فهما اسمان لحقيقة أو شخصية واحدة بر بقسمه وأخرجهم من مصر وتحت ضغط النازية كتب العالم النفسي اليهودي فرويد كتابه المشهور موسى والتوحيد توصل حسب رأيه إلى أن موسى رجل مصري قاد حملات عسكرية إلى الحبشة وغيرها وأنه استقى ديانة التوحيد من الفرعون المصري أخناتون وقد تمرد على سادته الجدد من الفراعنة وخرج من مصر ومعه بنو إسرائيل وبعض المضطهدين دينياً من المصريين إلى سيناء.

وقد استند إلى هذا الرأي بعض الباحثين كالدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ كما أسهم كتاب وباحثون أوروبيون في دعم هذه الآراء حتى بات

---

(1) جرجي كنعان سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية صفحة 43 ط1 1980.

(2) الوثيقة الصهيونية في العهد القديم، جرجي كنعان ص33، دار النهار، ط1 ـ 1977.

(3) الوثيقة الصهيونية في العهد القديم. جرجي كنعان ص 43، دار النهار، ط1 ـ 1977.

موسى في نظرهم جميعاً رجلاً لا يمت بأي صلة للنبوة. فهو الذي كتب التوراة، وهو الذي قاد الغزو باتجاه سيناء وفلسطين، وكأنه لم يتلق رسالة من السماء.

ورداً على هذه الآراء وغيرها فإننا ملزمون للاطلاع على سيرة النبي موسى كما نراها في القرآن الكريم.

فموسى عندما قتل الرجل المصري لم يكن قد تلقى النبوة، فهو فتى لم يبلغ سن الرجولة ورغم ذلك فإنه لم يكن يقصد قتل ذاك الرجل فالوكز لا يقتل رجلاً لكن الحكمة الإلهية أرادت أن يموت الرجل بسبب وكزة ليكون ذلك مقدمة لما أراده الله لموسى من هروب إلى مديان ومن ثم تلقي الرسالة في سيناء. على أية حال فإن قتل موسى للرجل لم يكن قتل نبي مرسل إنما قتل رجل عادي لرجل عادي. وموسى عندما تلقى الرسالة أصبح مسؤولاً أمام ربه عن أي عمل يقوم به. فهو لن يقتل إلا بحق ولن يكون سفاحاً طالما هو نبي مسؤول أمام الله وهذا رد على من اتهم موسى بأنه قاتل وأن رسالته تدعو للقتل.

وموسى لم يخترع إلهاً من تصوره كما قال بعض الباحثين فالله في نظر موسى ليس إلهاً قومياً إقليمياً يدعو إلى القتل ويغار ويتجسد. وآيات القرآن واضحة في التعريف بذات الله الذي آمن به موسى.

يقول تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 23-28].

ويقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: 49 ـ 53].

فأين صفات الله التي ألصقوها بإله موسى من هذه الآيات التي توضح بصدق صفات الله. فهو خالق السموات والأرض ورب المشرق والمغرب ورب الناس أولهم وآخرهم. وهو الذي أعطى كل شيء خلقه وجعل الأرض مهاداً وأنزل من السماء ماء فأخرج الزرع والنبات.

أهذه صفات الإله الخاص ببني إسرائيل؟ أليست هي ذاتها صفات الله كما عرفها المسيح وكما عرفها محمد عليهما الصلاة والسلام؟

أما إذا كانت التوراة قد وصفت الإله الذي عرفه موسى بالإله القومي المتعصب الدموي فهذا شأنها وليس لموسى عليه السلام ذنب في ذلك.

وإذا نظرنا إلى تعاليم التوراة الحقيقية التي نزلت على موسى عليه السلام وجدنا أنها مبثوثة في ثنايا آيات القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: 14 ـ 19].

إذاً هذه هي تعاليم التوراة الحقيقية كما نزلت على موسى. تزكية النفس وتشمل كثيراً من التعاليم المرتبطة بالعقيدة والمسلك وعبادة الله وحده والخضوع له.

ذلك باختصار ما جاء في التوراة وليس كما جاء فيما كتبه بنو إسرائيل بعد موت موسى.

موسى عليه السلام والعبد الصالح:

لم نعثر في التوراة على ذكر قصة لقاء موسى بالعبد الصالح الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. وعلى الرغم من أن ليس هناك وجه للمقارنة بين التوراة والقرآن بهذا الشأن إلا أن ما جاء به القرآن الكريم يوضح ملامح شخصية موسى

التي تنافي تلك الصفات التي فهمها الباحثون الذين أشرنا إلى بعض أقوالهم وهم يتناولون دراسة شخصية موسى عليه السلام فهذا اللقاء يوضح على مراحل تلك الشخصية النبوية الصافية والتي تخالف تماماً ما جاء في التوراة.

على أية حال ما يعنينا من هذه القصة على أهميتها هي تلك السمات التي جعلت موسى يصل الذروة في الأدب والتعامل مع من اختارهم الله لهداية البشر وعلمهم بظواهر الأمور قبل بواطنها يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ۗ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 60-82].

وقد أورد المفسرون قصة لقاء موسى بالعبد الصالح وقال أكثرهم إن هذا العبد الصالح هو الخضر عليه السلام وقال بعضهم استناداً على بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا العبد الصالح هو الخضر فعلاً قد آتاه الله العلم اللدني واعتبره بعضهم رسولاً أو نبيا. وأوردوا قصة حول أسباب هذا اللقاء. ومختصره أن موسى فاخر بنفسه أمام قومه حيث سألهم عمن أعلم منه. فأتاه الوحي وأخبره أن عبداً صالحاً تجده عند مجمع البحرين هو أعلم منك. فجد موسى السير وكان معه فتاه حتى وصلا مجمع البحرين وكان فقدان السمكة (الحوت) التي أراد أكلها بسبب الجوع الدليل على مكان وجود العبد الصالح. فالتقى موسى به وجرى ما جرى بينهما حسب ما جاء به النص القرآني الكريم أما الذي يستفاد من القصة هي أخلاق النبي موسى مع هذا المعلم. فهو مخلص بلقائه أولاً ثم هو يعترف بخطئه كلما أخطأ ولم يغضب أو يتذمر حتى انتهى به الأمر إلى الفراق.

فلو كان موسى كما يزعم هؤلاء الباحثون لما تمتع بهذه الأخلاق النبوية العظيمة ولكان قد تكبر على الرجل ورفض التعلم منه. ولكان ادّعى أنه أعلم الناس وظل على ادعائه، أما لماذا تنكر التوراة هذه القصة فإنهم يرون في موسى أعظم رجل مر في حياتهم من حيث علمه وفقهه فكيف يتعلم من غيره، إن هذا لا يجوز في نظرهم فلذلك أخفوا هذه الحادثة ولم يشيروا إليها لا من قريب ولا من بعيد.

لقد أساء العبرانيون إلى شخصية النبي موسى إساءات بالغة كما أساء الباحثون الذين لم يطلعوا على سماته الحقيقية في القرآن الكريم. فحقيقته أنه نبي

كسائر الأنبياء ذو سمات وصفات خاصة. وليس هو قائداً عسكرياً دموياً كما صوّروه، وقد بلّغ رسالة السماء ودعا إلى التوحيد بأمر من الله سبحانه وتعالى.

فأحق الناس بموسى هم المسلمون وليس سواهم وإذا كان اليهود يدعون نسبهم دينياً له فهذا هراء ولا يثبته دليل فهم أبعد الناس عنه سلوكاً وعقيدةً. والقرآن الكريم يصرح في أكثر من موضع أن الأنبياء متساوون أمام الله من حيث هم مبلغون منذرون وقد أوذوا جميعاً من قبل أقوامهم ولم ينج موسى من إيذاء قومه حيث كذبوه وخدعوه وخانوه فعبدوا العجل في غيابه واتهموه اتهامات باطلة حتى برأه الله سبحانه وتعالى ويذكر القرآن الكريم فتى موسى ورحلته معه للقاء العبد الصالح ولم يصرح باسمه ولم يذكر هذا الفتى إلا في هذه الحادثة.

ونرى أن القرآن يصرح بكلمة الفتى إشارة إلى أنه كان يساعد النبي موسى ويخدمه ويرافقه وهو بذلك ليس رجلاً كبيراً إنما هو فتى في مقتبل العمر. ونرى أن القرآن الكريم لم يأت على سيرة هذا الفتى أثناء رحلة النبي موسى مع العبد الصالح. فالشأن شأن موسى وليس لهذا الفتى علاقة بهذه الرحلة أو أية علاقة بما دار من حوار بين موسى والعبد الصالح. وغابت شخصية الفتى غياباً كاملاً مما يدل على أنه شخصية ثانوية جداً ليس لها أي أثر في حياة موسى أو تعاليم موسى بينما نرى التوراة تفرد سفراً كاملاً بعنوان يشوع ويستغرق في التوراة أربعاً وعشرين إصحاحاً ويعتبرونه تلميذ موسى وصاحبه الأول بعد أخيه هارون.

ويقع المفسرون المسلمون الأوائل والمتأخرون في مطب الإسرائيليات حيث يورد معظمهم أن فتى موسى هو يشوع. والحقيقة ليس هناك أي دليل يثبت أن فتى موسى هو يشوع وإلا لكان صرح به القرآن الكريم. لأنه حسب التوراة شخصية هامة جداً أفردت التوراة لها سفراً مع العلم أن هارون أخا موسى شاركه كل مهماته الرسالية وهو شخصية مهمة ولم تفرد التوراة له سفراً أو أي جزء من سفر. على أية حال لو كان يوشع هو فتى موسى المقصود، في القرآن فإن القرآن الكريم لم يورد شيئاً عنه ولم يتحدث عن مهمة قام بها يتابع فيها مسيرة النبوة والتوحيد عند موسى.

أما سفر يشوع كما ورد في التوراة فهو سفر يركز على تصوير قائد عسكري دموي يقود بني إسرائيل لفتحِ أرضٍ وغزوها وذبح أهلها وحيواناتها.

على أي حال سنعود إلى ما قالته التوراة عن غزو يوشع وبني إسرائيل أرض كنعان ومدى صحة أو كذب ما قالته حول هذا الغزو الجماعي.

بعض ما اتفق القرآن والتوراة عليه:

وردت في القرآن الكريم قصة رجل من قوم موسى يدعى قارون كان مشهوراً بغناه أنكر نعمة الله عليه وطغى طغيان الظالمين المستكبرين فخسف الله به الأرض.

ويرد في التوراة في سفر العدد في الإصحاح السادس عشر من الآية الأولى حتى الآية 35.

وقد ورد اسم ذاك الرجل بـ قورح.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ

وَيَكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 76-83].

وجاء في سفر العدد من التوراة: (فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياءً إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة).

والاختلاف بين الحادثتين في الغاية والسبب ففي التوراة يخرج قورح (قارون) على موسى ومعه عدد من الأتباع وكادوا يشعلون فتنة في قوم موسى وبسبب تذمرهم خسف الله بهم الأرض. بينما القرآن الكريم يركز على استكبار قارون وغناه حيث كفر بالله وظن أن ماله سيخلد ويملك به الدنيا فخسفت به الأرض بسبب استكباره. على أي حال فالقرآن والتوراة يتفقان في صحة القصة والشخصية أما العبرة المستفادة من قصة القرآن الكريم فهي واضحة حيث يربط القرآن بين العمل ونتائجه ومن ثم الغاية العلمية التربوية من وراء ذلك وهذا ما لم نجد له أثراً في التوراة.